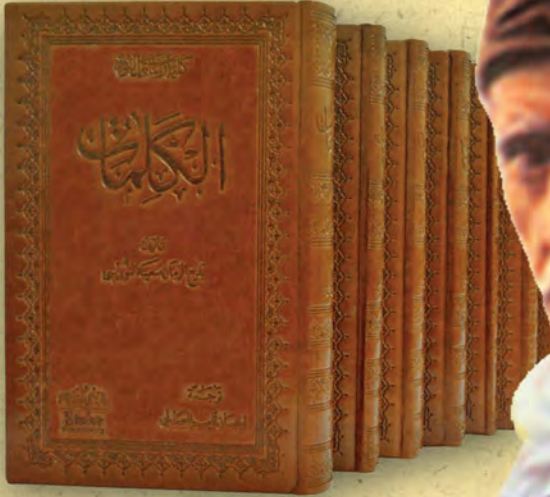


دار سؤزلر للنشر

حکلم و کتاب

في حوار صريح و جاد



عابدین رشید

دار سؤزلر للنشر

Sözler
PUBLICATIONS

رجال و کتاب

في عهد صبر و جهاد

عنوان الكتاب :

رجل وكتاب

تأليف :

عابدين رشيد

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٧٠٨-٠٠٧-١

رقم الإيداع: ١٧٧٣٤ / ٢٠١١

الطبعة: الأولى (٢٠١١)

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر :

دار سوزلر للنشر

العنوان :

٣٠ شارع جعفر الصادق

الحي السابع- مدينة نصر- القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفاكس: ٢٢٦٠٢٩٣٨ (٢٠٢)+

TITLE :

RAJUL WA KITAB

AUTHOR:

ABIDIN RASHID

ISBN : 978-977-708-007-1

ARCHIVE NO: 2011 / 17734

EDITION: FIRST (2011)

ALL RIGHTS RESERVED

PUBLISHER :

SÖZLER PUBLICATIONS

ADDRESS :

30 Gafar El-Sadek St.

7th Nasr City Cairo

Egypt

Tel&Fax: +(202) 22602938

www.sozler.com.tr

e-mail: darsozler@gmail.com

دار السنن في تيسار الحديث

رجال وكتاب

في عهد صريح وجهاد

عابد بن رشيد

دار سنن للشؤون

Sözler
PUBLICATIONS

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى الذين سمعوا عن «رسائل النور» ولم يقرأوها بعد!
وإلى الذين قرأوها كلها مرّة واحدة فقط.
وإلى الذين قرأوها ولا يزالون يقرأونها مرّات ومرّات!

«إن رسائل النور تَبِعُ
سلسبيلا من عيون الفطرة ومن
أفداس الروح ومن عبقرية العقل
ومن أصداف الإلهام».

المقدمة

كثيرا ما كان يدور في فكري سؤال مثير وهو: هل يمكن أو يعقل لكتاب أو رسائل أن تحدث تغييرا فعلا في المجتمع وتؤثر على سير الأحداث فيه بل وتبدل نظرة كثيرين جدا من ذلك المجتمع إلى الله والكون والإنسان والحياة وينقلهم من أسوأ حال إلى أحسن حال؟ أو بتعبير آخر: أن تنشئ مجتمعا جديدا فتيا صالحا وبوقت قياسي أمام أهوال التخريبات المضملة المذهلة؟!.

ثم أليس ما يشبه المستحيل: أن يتصدى لرسالة البناء ومسؤولية الإصلاح رجل وحيد فريد، عاجز ضعيف، لا يملك قوة من قوّات الدنيا ولا سلطة ذات نفوذ مطاع؟ أجل هل يمكن لمثل هذا الفرد الأعزل أن يتصدى وحده ببطولة خارقة وثبات شامخ - ومن غير أن يكون نبيا- لتيار جارف هائل من الفساد والإلحاد والاستبداد، يريد أن يكتسح الفضائل من جذور المجتمع كله وتغييره قسرا إلى مجتمع غربي فاسق فاجر وقد وقف وراءه الدول الكبرى المتآمرة الماكرة تسانده وتغذيه بجميع قواها وطاقاتها متداعية عليه وعلى العالم الإسلامي من حوله كما تتداعى الأكلة على قصعتها؟.

هنا تتعطل الحسابات المادية كلها وتبرز حقائق أخرى غير منظورة تتقدم الصفوف كالجندي المغوار كلٌ من الإخلاص الخاص والتجرد المتفرد والشجاعة النادرة والحكمة البصيرة.. تلك المعاني الباسلة التي قلما يتذكرها أو يعطيها وزنها الحقيقي الحق من ينظر مهزوما ترتعد فرائصه وتخور عزائمها، إلى تلاطم التيارات لأول وهلة.

لذا لا يمكن تقدير عمل الأستاذ سعيد النورسي وجهاده المتواصل العنود، ولا

عمل تلاميذه الأوفياء من بعده - حق تقديره إلا بعد أخذ الظروف في تلك الحالة بالأخص بنظر الاعتبار ثم دراستها دراسة جادة موسعة عندئذٍ فقط يمكن تقدير مدى فاعلية وتأثير الإخلاص التام لله وحده في ذلك العمل الإيجابي البناء وما يتركه هذا الإخلاص العظيم من روائع الآثار في عالم الإيمان أولاً ثم في عالم الحياة آخرًا.

هذا ولأن الأستاذ النورسي قد اتخذ الإخلاص لله والتجرد والوفاء للإسلام شعاره الدائم ودستور حياته حتى اللحظات الأخيرة من عمره المديد الحافل جداً بمواقف إسلامية مدهشة ولأنه حرص على ذلك الإخلاص العجيب أشد الحرص؛ لذا فقد أكرمه الله بالتوفيق السديد وجعله رفيقه المؤيد دائماً في كل ميدان في كل معركة؛ فكانت أن نمت - ببركات ذلك الإخلاص الفذ - تلك النواة الصغيرة الطيبة من الغراس الرباني في حديقة «بارالا» من ذوي الفطرة السليمة من طلبته الصادقين من خامات المجتمع التي لم تتلوث بعد بلوثات المدنية اللادينية والعلمانية الغاشمة الملحدة فأحاطوا بأستاذهم المرشد المحبوب كما تحيط الهالة بالقمر.

وكان أن هياً الله سبحانه من يتولى نشر ذلك النور المنبثق الوضاء إلى كافة أرجاء تركيا الحديثة وإلى كافة أنحاء العالم من بعد؛ حتى أضاء كل قرية وكل مدينة بقناديل رسائله القدسية المشعة من مركز الطاقة النورانية الكبرى للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكم الإنسانية والإلهامات الربانية جميعاً.

فيا ترى كيف تمّ هذا العمل الإيجابي البناء الضخم العجيب أمام عوامل ذلك الهدم الشامل الرهيب؟ وما هذا الكتاب الذي استقطب الشباب المتحمس الجسور وأنقذهم من الضلالة والفساد بل وأنعم عليهم السير نحو السمو إلى قمم الإسلام الشامخة حتى أنك ترى النور لينفلق من جهادهم ويتقطر الحماس والهمة من جباههم وينبجس الشهد من أفواههم فأصبحوا طلائع البعث الإسلامي بأخلاقهم وأعمالهم وفقههم وكفاءتهم مما ظهرت ريادتهم الفكرية والعلمية بفضل أصالة

منهجهم المنطلق من حقائق القرآن الحكيم ومناهج السنة النبوية الشريفة بكمال الفهم الناضج على أفق عالمنا الحاضر.

ولا عجب، أليس «القرآن الكريم» ذاته بسوره القصار وآياته المفصلة قد حوّل مجتمعاً جاهلياً متخلفاً بحثاً إلى مجتمع أساتذة الإنسانية وروادها؟

فلم لا يصنع تفسير من تفاسيره الذي يحمل نوراً من أنواره وسراً من أسراره فعل القرآن نفسه في مثل ذلك المجتمع بإذن الله وقد تلطّح بأو حال الجاهلية الرعناء ومستنقعاته ثانية وثالثة؟؟

نعم.. هذا ما حدث فعلاً..

فبالإخلاص الأعظم والتوكل المتجرد على الله وحده؛ الذي كان يملأ صدور تلاميذه هو الذي أعطى قبساً من نور ونبضة من وثبات أجدادهم المسلمين العظماء الذين أناروا الوجود ورسّموا الطريق للأجيال القادمة الفتية المؤمنة من كتائب الإيمان على مدار الزمان.

ولمّا كنا قد عزمنا على أن نعطي القارئ الكريم فكرة عامة عن تلك الرسائل؛ لذا لا يمكن أن نقوم هنا بهذه العجالة بدراسة مستفيضة فيها فآثرنا بيان غيض من فيض ولمحات خاطفة وكلنا أمل وشوق أن يسعدنا الله بكرمه بفرصة أخرى في الغد القريب إن شاء الله لتبيان حقائق «رسائل النور» وأسرارها أكثر إيضاحاً وأكثر تفصيلاً..

فنقول الآن هنا:

إن رسائل النور المنبثقة من حقائق القرآن الكريم أسرار ربانية عظيمة وبيانات نيرة بليغة، قد منحها الله عزّ وجلّ هذا الرجل بذكائه الخارق وإخلاصه النادر وشجاعته الفذة وحكمته الغالبة متجلياً في كتاباته الملهمة لمعات الأسماء الإلهية الحسنى ومستخرجاً جواهر القيم ومستنبطاً يواقيت الموازين ومبيناً لآلئ الأصول في فهم

المعاني الحكيمة والمقاصد المكنونة في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ بأسلوب غير مألوف وطريقة غير مطروقة وبفنون بلاغية هي في منتهى الطرافة والإبداع مما آتاه الله بعض أوليائه الأصفياء من مفاتيح الحكمة والجمال والقوة كأنها تنزيل من التنزيل وقبس من أقباس البيان... فهي فتوحات جديدة كبرى في عالم الحق والدعوة والإعجاز المعنوي في هذا العصر وقد ظهرت هبة ربانية للدعاة الفقهاء المجاهدين في كل مكان؛ تلبية للحاجة الملحة اليوم للقضية الإسلامية المعاصرة وحركتها لتؤدي إلى الصحوة الراشدة ومنها لتفضي إلى ظهور جيل الجهاد الأصلح الكاسح لسلطان الجاهلية الجهلاء الراهنة بلوغاً للنصر الموعود الأكيد بإذن الله.

الفصل الأول

بيانات حول رسائل النور

توطئة لابدّ منها:

هذا الكتاب هو حصيلة مشاعري ونظراتي وأرائي، اكتسبتها عبر قراءاتي المستديمة لرسائل النور وعبر مشاهداتي الشخصية في أجواء مؤسساتها الحديثة خلال ما يقارب عشرين عاماً^(١)، وقد عشت - ولا أزال - كثيراً من أنوارها، وعاشرت كثيراً من حقائقها، ولمست كثيراً من أسرارها بفضل الله ونعمته.

وهو إذن زبدة مطالعاتي الخاصة لها على مدى تلك السنوات ومن ثمّ فما أسجله هنا ليس أفكاراً عابرة أو خواطر بارقة أو كلمات وليدة خيال كمّاح أو مجرد انطباعات سريعة تمرّ مرّ الكرام.

(١) قمت بزيارة تركيا أربع مرات في السنوات الثمانينات.

المدخل

(رسائل النور نعمة إلهية كبرى ومعجزة قرآنية لا تنطفئ) (الشعاعات / ص ٤٤٤)

قال لي صاحبي - وهو يعاتبني بلطف-:

- أين أنت؟ ما الذي جرى لك؟ هل ثمة شيء أجعله عنك هذه الأيام؟ ألا تجيب؟! ألا تقول شيئاً؟

قلت مبتسماً أمام هذا الوابل من الأسئلة المتلاحقة:

- أجل يا صاحبي.. لقد وجدت هذه الأيام شيئاً هو أجمل من الربيع وأطيب من الشهد وأعلى من الروح وأبرد من الثلج وأنور من الصبح. لقد وجدت باختصار «جُنية الدنيا». لقد وجدت «صورة جديدة» للمعجزة المعنوية من بين آلاف المعجزات للقرآن الكريم في العصر الحاضر.. لقد وجدت رسائل النور!
.. فنظر إليّ نظرة ذات مغزى فيها مزيج من الاستغراب والاستنكار والاستعلام.

قلت: رويديك.

قال وهو يكظم انفعاله: كما تحب.

قلت برفق: ألا تريد أن تعرف ما هي هذه الرسائل؟ ما حقيقتها؟ ما سرها؟ ما نبأها؟

قال مستطعلاً بفضول: نعم لا شك!

قلت: هيّا إذن وبين يديك فرصة لا تقدر بذهب الدنيا وفضتها.

قال: كيف؟ وهل تراك تمازحني أم تلعب بعقلي؟!

قلت: لا هذا ولا ذاك، بل الأمر جدّ.

قال: سأرى.

قلت: على أن لا تقاطعني حتى أتمّ كلامي ببيان وإيقان.

قال: سأفعل إن شاء الله.

قلت له: إذن فاسمع.

قال: كلي لك سمع.

قلت مستفتحاً: إذا سألتني ما رسائل النور؟ قلت: إنها دساتير ومعايير، قواعد وشواهد، موازين وقوانين، وإذا قلت: لأي شيء؟ قلت: للحقائق الإيمانية، واليقينيات القرآنية والسنن السننية والمعجزات الأحمدية والأسماء الإلهية والمشاهد الأخروية.. ولذلك فهي: قيس من أقباس الوحي وتنزيل من تنزيل الكتاب وكرامة من كرامات القرآن ومعجزة من معجزات الفرقان؛ تجلّت بفضل الله سبحانه لفكر بديع الزمان وقلبه وتراتيل ذكر تهدي الناس إلى الله.

وهي التفسير العصري الحقيقي - كما يقول مؤلفه- للقرآن الكريم لهذا الجيل المعاصر ولما بعده.

وهي الترجمة الدقيقة الصادقة لمناهج إتباع الكتاب والسنة تنزيلاً موافقاً لضرورة العصر الراهن وتداولوا واقعيًا ليوميات المسلم المعاصر وعروجًا عبقرياً لمراقي الكمالات المقدرّة للإنسان على براق النور وهو يطوي وينشر أجنحته المادية والمعنوية في الأنفس والآفاق.. في المشارق والمغرب.

فرسائل النور إذن تعني فيما تعنيه هو الإتباع الأصلح للقرآن والسنة في هذا العصر.

فلم يصبر فقال: وماذا تعني رسائل النور، بالحرف الواحد؟

قلت بهدوء عميق:

-إنها القاعدة الإيمانية الصلبة الواعية المهتدية الهداية؛ والتي لا يجوز الجهل بها أو الإعراض عنها. وربما أمضي فأقول: إنه لا ينبغي أن يسمح بقبول أحد في صفوف الدعوة الإسلامية الحديث جدياً هماماً ما لم يترب التربية القرآنية المكثفة الكافية المطمئنة في مدرسة النور تماماً كما يتخرج طلبة الجامعات العالمية بعد أن يتموا سنوات الدراسة بمراحلها واختياراتها عن جدارة واستحقاق.

هذا وحسب خبرتي في هذا الطريق بما أنعم الله عليّ أقول: أنه لا يعقل أن يمارس المسلم المعاصر الناهض، منصبه الإسلامي الخطير كداعية ومرشد ورائد وممثل وهو لا يحمل في سيماء أثر السجود أعني شارة مسؤولية فهم القرآن الكريم وذوقه في كفاءة واقتدار وشهادة.

أجل أخي العزيز!

إن رسائل النور هي كأنها الترجمة العملية الحقيقية الأصلية للدعاء المشتهر على الألسنة:

«اللهم أجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وشفاء صدورنا وذهاب همومنا وغمومنا وسائقنا وقائدنا إليك وإلى جناتك جنّات النعيم ودارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين».

قال مبادراً: ولكن قل لي بربك بعد هذا التعريف العام المثير إلى ماذا توصلت إليه من اكتشاف جدير بالذكر في عالم الكتب؟

قلت مبتهجاً وأنا أجمع أطراف أفكارى: إن مما اكتشفته أخيراً يا صاحبي بعد طول صحبتي لها وملاحظاتي فيها؛ أن منهج رسائل النور هو بحد ذاته شيخ عصري خبير يؤدي دوره خير أداء حيث تأخذ بيد القارئ المرید المحب برفق وصدق ويوصله

إلى درجات إيمانية ومقامات سلوكية وأحوال روحانية ومعارج فكرية، صعدا بين الذرى والقمم ممتدة بجسور من نور متجنباً أخطار الطرق الأخرى وضلالاتها. وإذا شئت فسلني وللمرة الألف: ما هي رسائل النور؟ أجبك في كل مرة: إنها خطوات عقل حكيم متزن، وتدفقات قلب شاعر عاشق، ومعارج روح منطلق رائد وأشواق ألطف تباهي؛ كأنها كلها أسرار وقفات عرفات أو أنوار ليلة القدر أو مهرجانات ربيع المعراج الأعظم..

إنها - بإيجاز فائق - أعراس الإيمان!

قال مستزيداً: ثمّ؟

قلت: إنها تربطك أكثر فأكثر، وبحبال أقوى وأمتن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبين، وبنينا الأعظم محمد ﷺ على وجه خاص وبالقرآن الكريم بألف ألف مناسبة وبألف طريقة وطريقة. وإنها لتعلمك كيف تفكر وتتأمل وتمنحك مفتاح التذوق في العالم المغمور وهو يضم بين جوانحه بدائع المعجزات الإلهية في أصغر ذرة وفي أكبر مجرة في معارض الكون العظيم.

ومن أساليبها أنها لا تثير ضغائن الأعداء ولا تهيج شرور الشياطين الإنسية، فهي إيجابية ودية مثمرة تخاطب كل الطبقات وكل المذاهب وكل الاتجاهات بطريقة أشبه ما تكون بالنور حقاً.

قال: وماذا تميّزها عن غيرها من الأمور فيما نعرف أو لا نعرف؟

قلت - وأنا أستعرض صفحات رسائل النور كشرط سينمائي سريع كلمحات من بصر-: إنها أيها الصديق العزيز تبدأ بك من البداية الأولى وكأنك لم تسمع ولم تعرف شيئاً عن الحقائق الإيمانية من قبل أو كنت تعرفها ولكنك نسيتها أو ما هو في حكم النسيان فعلاً؛ فهي هنا تعطيك أبجديات الإيمان وبديهياته رويداً رويداً لتكون منها بعد ذلك كلمات اللغة الجديدة لتقرأها على سبورات الوجود ووجوه

الخلائق المشهودة بأحرف من نور أو أحرف من حياة، محدثاً في خلايا دماغك بناءً جديداً لتبصر وتفقه من نوافذها ومناظرها.. آيات الوحي من صفحات القرآن المسطور وآفاق القرآن المصوّر.

وبعبارة أقل: إنها تتخذ من أصغر ما يتوفر عندك ومن أقرب ما يملك ليصنع منها براقاً معنوياً جديداً يجوب بك سماوات الإيمان العلي.

قال بتلهف: ألا تذكر لي خصائص أخرى غير ما ذكرت إلى الآن لعلّي ازداد لها فهماً وعلماً فقد أثرت خلجات نفسي من الأعماق.

قلت: حباً وكرامة، سأورد لك سطوراً أشبه ما تكون بمذكرات وتوابع الملوك دفعا للضجر أو تخفيفاً للذهن أو توفيراً للوقت أو احتراماً للعقل وإليك نتفاً منها وأحيلك بعد ذلك إلى كلياتها لتطلع عليها بنفسك وتتوصل إلى عجائبها وغرائبها في عالم الفكر والعقيدة والشعور:

* مزجها العجيب بين مجموعة ضخمة من زبدة العلوم الإسلامية في تعبيرها بشكل سهل مبسط، عذب مؤثر، كأرقى أنواع أدب السهل الممتنع.

* تركيزها بالدرجة الأولى على التربية الذاتية العميقة باهتمامها الشديد المكثف لتصنيع الشخصية المسلمة بل تخريج الرجل القرآني قبل اهتمامها بأمر الدعوة وشؤون الخدمة وهموم العمل الإسلامي العام.

* إفشاء نظرة الرحمة والشفقة على الناس وعلى كل شيء.

* اتباع طريقة التدرج وخطوات الفطرة للنمو والارتقاء والتقدم والاتساع بالتزام شديد وثابت.

* تخاطب أوسع العقول وأعرض القطاعات العامة ثقافةً وفهماً وذوقاً.

* كتابتها بلغة الثقة والقوة والحرارة في تبيان حقائقها واستعراض دلائلها من علم وثيق وعرفان راسخ.

* تجمع بين عمق روح التصوف المتزن وبلاغة الأدب وصفاء الفقه وحكمة الدعوة وصلابة التربية وريانة العلم، فهي تخاطب كينونة الإنسان كل الإنسان بنظام تكاملي ملموس.

* لها اهتمام جاد وطيد وشرح شاهق مكثف بأسرار الأسماء الإلهية الحسنی بأسلوب نادر إن لم أقل غير مسبوق.

* الطريقة الإيجابية قاعدة أصلية ثابتة في دعوتها ومعاملاتها وأحكامها ومواقفها فهي بحق كاشعة النور.

* فيها آراء صائبة سبّاقة منصفة بعيدة النظر وتظهر ذلك بوضوح حول قضايا القومية والعلمانية والثورة والوطنية والفرق الإسلامية والتاريخ الإسلامي وأحداثه والحضارة الغربية والمسيحية والسياسة والتصوف والأدب والحياة والموت والمرأة والحرية وأمور أخرى كثيرة.

* أفكارها وطروحاتها قريبة من حياة الإنسان اليومية وكأنها مذكرات هموم المسلم المعاصر في هذه الأيام.

* تعطيك مفاتيح التأمّلات الإيمانية الجميلة العميقة الواسعة في الله والكون والإنسان والحياة.

* تتضمن في طوايا سطورها باقات عبقة من القواعد والموازن والمقاييس والكليات والحقائق والبصائر والبشائر.

* تجعلك تعيش وتملّئ دائماً في روائع الطبيعة وجمالها وحكمتها وحلاوتها وإشارتها.

* إنها تعتبر من نوادر الأسفار العظيمة في تاريخ الكتابة الإسلامية التي بلغت شأواً بعيداً وافقاً سامقاً هيّأها أن تكون: الكتاب الشيخ، الكتاب المرابي فهي تخرّج تحت

ظلال أروقتها الربانية أفواجاً أفواجاً من الطلبة الأولياء الفقهاء الدعاة المجاهدين. وهم اليوم يذكرون الناس بجيل الرعيل الأول لهذه الأمة القرآنية الخالدة.

قال: جزاك الله خيراً لقد علمت ما كنت أجهلها والآن أن أن تبين لي بعضاً من عجائبها وغرائبها على طريقتك وأسلوبك أو بالأحرى على استنتاجك وقناعتك؟ فلطالما سمعت منك تكرر هذه العبارة أثناء حوارنا.

قلت: لقد سألتني عن شيء مثير ومع ذلك فلا أقول غير الحق: نعم إن الرسائل النورية ليست مجرد كتب وكتيبات فحسب بل هي مدرسة وتكية وكتاب ومعهد تربوي وبستان عقيدة ومكتبة ثقافية ومختبر علمي ومنتدى أدبي ومجلس علماء ومعرض كوني وروضة حب ومعجم معارف ومنبر وعظ وإرشاد وحلبة جهاد ومعسكر دعوة، وبراق روح وصالة فن ومسرح موسيقى وكلية سياسة ومحضن بطولة وعبقرية ومهد إبداع وتجديد ومنطلق حضارة أخيراً.

نعم إنك تجد فيها كل ما أهمله المسلمون اليوم عامة من الأفكار والمعاني والرموز والشعارات ومعالم الدين الحق أو هجره هجراً غير جميل أو نسوه أو فقدوه.. فتراه تعرضه عليهم بنهج غريب بديع معجب يفرض إعجابه ووقعه على قلب كل غافل منصف أو واع مرتقب في عالم الفكر والذكر والشكر، بشروحات معانيه وتفصيل حكمه وبيانات أسرارته كأمثال: «بسم الله» و«لا إله إلا الله» و«الحمد لله» و«سبحان الله» و«الله أكبر» و«لا شريك له» و«حسبنا الله» و«لا حول ولا قوة إلا بالله».. وغيرها من أمهات عقائدنا وكراماتنا ومعالم يقينياتنا الماثورة والمنشورة في أقداس مجتمعاتنا كالشعارات البارزة واللافتات المعلقة.

ولذلك أراني اجترأ فأقول: أنه لا دواء للأمراض المعنوية الحاضرة للناس في هذا الزمان أقوى ولا أشفى بإذن الله من رسائل النور: واحدة من أعجب وأبدع صيدلية من صيدليات القرآن الكريم التي ظهرت بمحض فضل الله وحده على وجه الأرض

في عصرنا نحن وربما لما بعد عصرنا هذا كذلك؛ مفتوحة على مصراعها لكل إنسان بغض النظر عن لونه وجنسه ودينه وجغرافيته وتاريخه ولغته.

ومن العجب أنك إذا قرأتها أول وهلة وبسرعة ظننت أنك تقرأ مقالات اعتيادية روتينية كما تقرأ أي جريدة يومية، حتى إذا طرقت عشرة كتب في باب رسالة من رسائلها أدركت عن علم راسخ أنك حقاً أمام رسالة أطروحة ذات صبغة متميزة متفوقة وفريدة جديدة مفيدة في عالم الكتب .

هذا ولسائل النور أيضا صفتان عجيبتان - ولعلهما مختصتان بها وجدها- وهما:

أنها تكاد تغنيك عن كل كتاب في مواضعها لأقصى فترة، وأنها تعلمك كيف تقرأ وتستفيد من الكتب الأخرى غيرها.

قال: سبحان الله! هكذا؟.

قلت: وإذا شئت أسمعك المزيد؟!

قال: هاتها.

قلت: ومن غرائب رسائل النور ومن مميزات الخاصة بها كذلك في هذا المقام؛ أن الآيات القرآنية ومعانيها العظيمة بدأت تتحرك في حياة الإنسان - إنسان ما بعد سقوط الخلافة الإسلامية الممثلة في وقتها في الدولة العثمانية- وأخذت كذلك بدورها تتحرك في الوقت نفسه في اتجاهات ربانية فكأنها فعلاً ن-زلت لهذه الجماعة الفتية من الفتية المؤمنة لهذا الجيل.. هذا الجيل المنكوب الذي قدّر الله له أن يشهد ويعيش مآسي الآلام والأحزان التي تركها انهيار المجتمع الإسلامي من قواعده وأركانه، أو هي - أي رسائل النور- كرائد بحار عالم، استكشف خرائط السير الصحيح المناسبة وسط تلك الأنواء الرهيبة ومضى على هداها لا يلوى على شيء ولا يلتفت إلى شيء يمزج عباب البحار بسفينة لها صلة وثيقة قوية

بنسب سفينة نوح ﷺ! أول بحار باسل مجاهد يبحر بفئته القليلة الصالحة بسلام وبركات فوق أمواج هائجة تموج كالجبال، على صراط الدعوة الإسلامية بإذن الله ورعايته، قدماً نحو البرِّ الأمين: حلبة الجهاد البناء الأفضل للعيش في ظلال الإيمان والأخوة والسعادة الفردوسية ولو في عمر الربيع أو حتى عمر الزهور!

وهي تسلك بقارئها المشوق المغرم أقصر الطرق لقطع مسافات العلم الطويلة؛ فهي كفيلة بأن تقدّم له في صفحة واحدة كتاباً كاملاً، وفي رسالة واحدة ملخص مكتبة صغيرة، وتقطع به سنة في سبيل العلم أسبوعاً واحداً طياً، وبذلك تكون رسائل النور قد أتت بكرامة جديدة في عالم الكرامات وهي طيّ العلم من بعد طيّ الزمان والمكان فأضافت بُعداً عصرياً لتقدم المؤمن المتخلف فيه أشواطاً بعيدة عن ركب الحضارة المادية وعبرياتها لحاقاً بالزمان واعتلاءً على مكانه اللائق به اليوم كعبد الله وتلميذٍ للقرآن الكريم وجندي للرسول القائد العظيم ﷺ.

هذا وإنها تبنيك من الداخل طابوقاً طابوقاً كما أنها تهدم ما يستحق الهدم طابوقاً طابوقاً وقد تهدم حائطاً حائطاً. فهي كتاب بناء قبل الهدم ومن اجل ذلك فهي لا تتناول موضوعاً هامشياً أو قشورياً أو جانباً غير ذي قيمة وأهمية أو ما ليس فيه خير كثير وفير، ومن دلائل كراماتها وربانيتها أنها إنما كتبت حسب الحاجات وحسب المواسم وحسب الطلبات وكأن القارئ المثابر يقول بفرح غامر وهو كلما يتأمل في عباراتها: حقاً هذا ما كنت أريده أنا. بل هذا شيء يخصني أنا بالذات ويجب على أسئلتني وها قد نزل على قلبي الآن برداً وسلاماً فالحمد لله.

قال متنهداً مذهولاً: زدني بربك.

قلت: ومن المعروف المتواتر لدى طلبتها أن المؤلف الأستاذ يوصي القارئ مراراً بالصبر وعدم الانقطاع عن مطالعته لها لانه قد يلاقي فيها عبارات صعبة أو فقرات معقدة فوق مستواه بكثير ولكن عليه أن لا يبالي ولا ييأس فالدرب طويل والفرص سوانح قد تواتيه يوماً فيستوعب ويدرك ويفهم ويتذوق، مثله كمثل من يدخل في

بستان ذي أشجار مثمرة يانعة، فيجتني منها بقدر ما تبلغه يده أو تتناوله كفاه على طول قدّه. فالمعارف فيها درجات وطبقات وهي مع ذلك تفيد العامة والخاصة وهي تشبع الخواص ولا تحرم العوام.. وهذه صبغة قرآنية بحثة!

قال وهو شبه نشوان: وبعد وبعد؟

قلت وأنا أحسد ظمأه: وأعلم كذلك إنها تعطيك عينين جديدتين: عين من القرآن الكريم، وعين من السنة النبوية، لتطل بهما ومن خلالهما إلى كل شيء في الوجود. فتارة ترى بهما أكبر الأشياء كأصغرها وتارة ترى أصغر الأشياء كأكبرها.. فهي لها خاصية التلسكوب حيناً ولها خاصية الميكروسكوب أحياناً أخرى، فتتملئ من ورائهما الروح بمشاهد الأسماء الإلهية في السماوات والأرض وما بينهما من عجائب خلق الله سبحانه ونواميسه وقواميسه في وجهي الكون معاً: عالم الشهادة وعالم الغيب.

وإنها تقدم لك الغذاء الفكري والروحي بالطريقة الملوكية أي أنها تخلصك من تفاصيل العلوم وجزئيات المعارف وتمنحك زبدتها وخلاصتها بما فيها الغناء والكفاية لرحلة الإنسان العصري نحو عالمه الكبير دون أن تلهيه ترهات كل شيء وأوجاع الدماغ من فضول الكلام وثرثرات المطبوعات وأخاليط المنابر.

ومن أعجب عجائبها إنها تشعر القارئ المخلص المداوم بالشعور الوثيق الحميم بالقربية من الله ذي الجلال والإكرام وما تورثه هذه القرية - من ثم - من شعور غامر مشاع ملموس من الأمان والاطمئنان في أجواء يوميات حياة المسلم الصادق العامل، مهما تلبدت سماؤه بأنوار تنذر بالعواصف والزعازع وتهدر بالمخاوف والمكاره.

قال - وكأنه يستدرك سؤالاً كاد أن ينساه آنفاً -: وما معنى قولك أن لرسائل النور لغة مبتكرة كما أكدتها مراراً؟!!

قلت: نعم لقد كتبت رسائل النور بلغة موفقة واضحة كل الوضوح، مشرقة كل

الإشراق بحيث يفهمها الجميع مهما اختلفت درجات ذكائهم أي أنها تتميز بسمة الكتابة الجماهيرية - إذا صحَّ التعبير - من غير أن يسف أو يهبط من روعة بلاغتها وسمو فصاحتها في الوقت نفسه فهي تخاطب الطفل والشاب والشيخ والرجل والمرأة والطلق والسجين والمتقف والأمي والعالم والمتخصص والمتصوف والأديب والسياسي ورجل الشارع والفقير والداعية والبدوي والحضري والموظف والكاسب.

وهذا هو سر من أسرار معجزة البيان التبليغي لدعوة القرآن الكريم الذي جاء بما يوسم به في هذه الخصوصية الأبدية له وهو القاسم المشترك الأعظم لأقدار العقول البشرية ومداركها مهما دارت الأزمان وترقت الأحوال إلى يوم القيامة. يوم الملك الديان.

وبتعبير موجز دقيق:

لقد أوتي بديع الزمان الداعية مفتاحاً ملهماً من مفاتيح البلاغة القرآنية.

ولعل هذه الحقيقة لا تتجلى لنا كما تتجلى بأوضح دليل وأبهر برهان إلا عندما نقارن بين ما كتبه في «المنوي العربي النوري» و «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» وغيرهما في ما يسميه بعهد سعيد القديم؛ وما كتبه بعد ذلك رسائله الجديدة بمجلداتها باللغة التركية العثمانية في عهد سعيد الجديد.

وتذليلاً لهذه الملاحظة أقول: ولعل من ابرز ما انفردت به هذه الرسائل العجيبة في عالم الكتابة أنها تأخذ بيد مسلمي هذا العصر المخلصين قلباً وروحاً وسلوكاً وعمى ونسكاً فترقيهم بطريقة جماهيرية لا فردية فقط إلى درجة الأولياء العصريين الصالحين بأقصر وقت وأسلم طريق وأدوم شوق وأبهج نهج وأثبت حالة، وأقل مجاهدة.

قال مندهشاً: يا للروعة هذه الرسالة المجهولة عندنا وعند كثير من الناس في

عصرنا! فقل لي بربك ماذا تخفي عنا بعد مما تعرفه عن هذه الرسائل إلى مسلمي هذا الزمان من عجائب الأسرار وغرائب الأنوار.

قلت: لا يزال في جعبي الشيء الكثير وإذا شئت فهناك سر آخر.

قال بخفة ظل مرح: ها أنذا لك أذن صاغية.

قلت: إن مما يلفت نظري ونظر الباحث الدقيق بالتأكيد في رسائل النور وأسرارها المكنونة: أنها حوّلت الأنظار والأفكار إلى شخصية معنوية عجبية نادرة قلما نجدها في تاريخنا إن لم نقل لا نجدها.. شخصية متقمنة في ثياب مؤلفات باسم «رسائل النور»؛ فلها شخصية ذاتية متميزة مستقلة ذات أبعاد معروفة مألوفة كأنها كائن حي يتعامل مع من حواليه كالكائنات الإلهية الأخرى في عالم الإنسان وهذا ما يلمسه طلابها وعشاقها بوضوح رائق كوضوح الشمس في منتصف النهار.

وبذلك - وهذا في حد ذاته ذكاء خارق - فوتت الفرصة الذهبية للضربة القاضية الماحقة الساحقة لمن يريد من الأعداء الأقوياء الماكرين، ونزع أخطر سلاح ملعون من أيديهم وهو الهجوم الظالم الغادر الغاشم على أشخاصها وهيئاتها وقياداتها، لأنها - أي الرسائل هذه - ربطت قلوب الأنصار والمصدقين بها والعاملين في دربها وحقولها.. إلى حبال من النور التي لا يمكن أن تنقطع وهي الموصولة مباشرة بقواعد عرش الله سبحانه؛ فكانت ظاهرة جديدة حقاً في تاريخ الدعوة الإسلامية وتجديدها بعد نزول القرآن الكريم الكامل المكمل بل وعودة أصلية جلييلة إلى سنة الله في هداية الخلق.

إذ إن ربط دعوة الإسلام بأجنتها: الإيمانية والعلمية والتربوية والاجتماعية والسياسية والجهادية والاقتصادية في نسيج واحد كطيف الشمس؛ لهو إنجاز ضخم عملاق ومشروع فخم لا سبيل إلى القضاء عليها أو اغتيالها بذات السهولة التي تحصل للأشخاص كأفراد ووحدان.

وهذا - والحق يقال - ابتكار عصري جديد مفيد في عالم الدعوات الإسلامية المتفجرة المعاصرة ضد مخططات الأعداء المتآمرين الحاقدين المهيمنين على قارة الشعوب الإسلامية.

وهنا قال صاحبي وقد وعى ما سبق - مضيفاً:-

- أي لكأنّ الله جلّت قدرته قد أعطى لحملة رسائل النور سرّ المخطط العبقري المتفوق لإفشال أو إضعاف مخططات خصوم هذا الدين الحق الألداء الوضعاء بأمثل طريقة وأوعى بصيرة وبأقل خسارة.. إتباعاً سليماً سديداً لسياسات النبوة الأحمدية في فن الحرب: حرب الجهاد لا الحرب للحرب، مع الأعداء في كل عصر إعداداً ذكياً وتمهيداً عزيزاً لانتصار أجيال الإيمان والقرآن والبرهان والسلطان في معارك الشرك والكفر والفسق والنفاق والطغيان.

قلت: هو بأضبط كما ذكرت ووعيت.

نظرات عبر مشاهدات

من غرائب ما يجد المرء القارئ في رسائل النور أنها تستعرض على طول مواضعها ظاهرتي: سعيد القديم وسعيد الجديد مما لا مثيل لها في الكتابات الإسلامية الأم بهذا العمق وهذا الأفق وذاك الوضوح وتلك الشروح على مدى تاريخ طويل.

وكأن هذه الظاهرة - بهذا الحسم والحزم - تجربة رائدة للخطأ والصواب والعوج والاستقامة أو الجرح والتعديل في فن النقد الذاتي الصارم.

فصاحب الرسائل يحلل نفسيته ذاته بعمق كخبير شهير من خبراء علم النفس ويبين شارحاً لوحتي الشخصية التي عاصرت القديم والحديث في تاريخ واحد مما يعد أن لوحة شخصية العالم الإسلامي - المتمثل كنموذج فذ واضح في شخصية سعيد - ذات شقين كذلك؛ فهي حقيقة أزمتها وسرّ بلاياها ونقاط حروف تخلفها وواقعها الأليم.. فكأن سعيد القديم هو الجانب الذي انطوى عهده وولى ولم يعد يفيد اليوم في الأقل، من ملامح شخصية العالم الإسلامي لخريطة الأمة الإسلامية المعاصرة. وأن سعيداً الجديد سيكون الخارطة الصحيحة الناضجة للجانب المستقيم من ملامح شخصية أمتنا الإسلامية لخارطة عالمنا: قارة المسلمين الأوسط!!

فهي تمثل بوضوح وتهتف بصراخ: الداء والدواء، المشكلة والعلاج، الأزمة والحل، الباب والمفتاح.

وبعد هنيهة عاد صاحبي يسألني بلهجة تنم على شيء من الحيرة: ولماذا كان دائم النظر والتصحيح في رسائله حينما كانت تستنسخ بالمئات والآلاف من قبل أقلام عشاقها المتيمين شبيهاً وشباناً.

قلت: حقاً إنك لتسأل فتجيد السؤال. نعم إن ظاهرة تصحيحات كتابة ما، ترمز

في الواقع إلى حقيقة مهمة جداً لتصويبات الإنسان اللامعصوم لما يكتبه وقد جعل الزمان مخبر لما يقول ويسجل حتى إذا صدّفته الأحداث وصوبته الأيام.. خرج من الاختبار ناجحاً ورصيناً يصون أصحابها من كثير من الشطط والزلل.

فكم كانت من حكمة ربانية تضمنتها نعمة حقيقية تلك التصحيحات والتصويبات لآثار بديع الزمان وهو حيّ يرزق، بيديه وبين يديه.

ولقد كان حظ رسائل النور من هذه النعمة النصيب الأوفر ولذلك جاءت أشبه ما تكون بالعصمة، وتكاد تخلو من أيما خطأ يوسم بالخطورة، على كثرة كتاباتها وعلى عظم سعتها وعلى الرغم من تطرقها في كل شيء، حتى لخيّل إليك أنها لم تترك شيئاً لم تتناوله بقلمه الماسي في حياة المسلم المعاصر الأساسية ولا يعني هذا أننا ندعي لها العصمة حاشا ثم حاشا، فالعصمة لغير أهلها وهم الأنبياء فحسب.. لم ترد ولكنها الحقيقة نقولها.

هكذا لقد كانت إذن فرصة تاريخية مشكورة لكاتب الرسائل أن تمنح بفضل الله وحده حتى يراجع في كل ما كتب ويطمئن لثمرات أفكاره وسنابل جهاده قبل أن يودّع الدنيا فينام في قبره المجهول مرتاحاً قريح العين، لا يحزنه شيء ولا يندم على ما كتب بل يشكر الله على هذا التوفيق العظيم.

فقال - بعدما بدت علامات الإقناع تلوح على أسارير وجهه- حسناً لقد ألممنا إلى الآن بشيء غير قليل مما خفي علينا ولكن ماذا تقول لهذه الظاهرة حيال رسائل النور؟

قلت مستفسراً: وأي ظاهرة تقصد؟

قال بشيء من التردد والاستحياء: ظاهرة بعض القراء للرسائل النورية هذه، إنهم ما أن يأخذوها بين أيديهم ليقرأوا منها سطورا أو فقرات قليلة حتى يضعوها جانبا

بململ واضح وضيق معلن وكأن لسان حالهم يقول: شيء لا يستحق ضياع الوقت أو إشغال الوقت.

قلت: بارك الله فيك، لقد نبهتني إلى أمر مثير ومحيّر معاً كدت أن أنساه فقد كنت ألاحظ هذه الظاهرة ورحت أفكر فيه وأبحث عن أسبابه حتى توصلت أخيراً إلى هذا الرأي - وأرجو أن أكون مخطئاً- وهو أن الذي يقرأ رسائل النور ولا يفهمها أو بالأحرى لا يتذوقها ولا يجد فيها شيئاً ذا بال أو خطورة إنما يرجع سببه - والله أعلم- إلى حالة مرضية في انحراف مزاجه واختلال قلبه أي أنه ضحية من ضحايا أمراض القلب الشائعة جداً في أيام زماننا. أقول هذا من غير أن أتهمه أو أغير عليه والله يشهد بل هو من قبيل بيان حقيقة وتشخيص داء كالأطباء في معرفة أسرار العلل عند المرضى.

ولذلك ترى المريض المسكين يجد للماء الزلال في فمه طعماً مرّاً لا يستسيغه ولكنه كلما تماثل للشفاء رويداً رويداً وجد له ذوقاً وراحة بل حياة تماماً كما يتذوق ذو الجسم السليم نعمة الطعام الشهي دائماً.

قال من غير أن يتوقع هذا الجواب وهو يرسم على لوحة وجهه علامة تعجب كبير: أحقاً ما تقول؟!

قلت: هذا هو رأيي.

قال: وأحسب أنه رأي وجيه.

ثم قلت وأنا أستشير: وماذا سمعت عن الرسائل البديعية بعد؟

قال: ماذا تعني؟

قلت: سل ما شئت.

قال - وهو يعتصر فكره بضع ثواني -: نعم لقد تذكرت، ترى أين موقع رسائل

النور في عالم التفسير وبعبارة أدق: أين يمكن أن نضع هذا اللون من التفسير بين التفاسير عبر العصور؟

قلت بثقة تامة: إنني بعد استقصاء كثير من التفاسير وإجراء جولة عامة في عوالمها تبين لي يا أخي الكريم أن تفسير رسائل النور يشمل كل أنواع التفاسير السابقة مضافاً إليها هذا التفسير الجديد الذي يمكننا أن نطلق عليه بـ«التفسير الشهودي» والذي امتازت به رسائل النور من بينها جميعاً ويعتبر روحاً إبداعياً جديداً غير مسبوق يسري في أرواح المؤمنين جيلاً بعد جيل إلى ما شاء الله.

وهذا ما جعله - في نظري - يرتفع حتى يسمو على قمم التفاسير القرآنية العظيمة ليكون علماً خالداً من أعلام الحركة التجديدية لروح الأمة الإسلامية بمعجزات القرآن المعنوية نفسها موقظاً وموجهاً وداعياً إلى الله في أقرب قربات وأعذب عذوبات.

ففيها - أعني رسائل النور - لمحات بل ومذاقات من التفسير اللغوي والبياني والفقهية والمذهبية والحديثي والصوفي والفلسفي والعلمي والاجتماعي والدعوي والكلامي وغيره؛ كلٌ بقدره وبحسب الحاجة والضرورة المعاصرة ليوميات حياة المسلم الواعي المتفتح المتحدي مشكلات عصره وأباطيل خصومه.

قال: هذا شيء أعجب!

قلت: ولك أن تتأكد بنفسك في مجلداتها المترجمة.

ثم بادرت قائلاً: ولكن ألا تسألني ما سرُّ اعتصام طلبة النور برسائل النور كالذي حدثت عنك عنه في مشاهداتي الميدانية ومعايشتي معهم بما قلّ نظيره في هذه الأيام وأخشى أن أقول ولا نظير له فلا تصدقني. وهم يلازمونها ليلاً ونهاراً بل ويتناولون قراءتها كوجبات الطعام اليومية.

قال: قد سبقتني في السؤال عنه ولطالما سألت فلم أقتنع بجواب كاف ومرضٍ فما هو السر يا ترى؟

قلت - وأنا أحاول أن أصيغ السؤال بعبارة أفضل -: بل قل ما سرُّ شمولية التحدث بأفكار رسائل النور وآفاقها في ساعات يومه في الليل والنهار والإقامة والسفر وفي الصحة والمرض والفراغ والعمل والخلوة والجلوة وفي كل الأحوال؟

الجواب كما أرى أنا:

- أولاً: لأنها شديدة الخبرة والإطلاع بمشكلات عصرها.

- ثانياً: لأنها شديدة الصلة بجمال الكون وجلاله.. فهو إذن قصة الخبرة والعشق؛ فصاحب الرسائل هذه يتكلم عن خبرة دقيقة عميقة عن أفق واسع شاسع بألف لسان ولسان ويشهد روائع الكون وبدائع الخلق بألف عين وعين.

ولذلك فالذي يعيش هذه الرسائل العبقريّة في أجوائها تورث عنده هاتان الفضيلتان: فضيلة العلم وفضيلة العشق وهما أقوى وأسلم وأسعد وأصلح جناحي شخصية المؤمن المعاصر في دروب الجهاد.

قال بسرور: وراك الله من كل شر؛ فقد زدني علماً!

ثم أردف قائلاً: وهل ثمة سر آخر بقي غير ما ذكرته مما تتميز بها هذه الرسائل الفريدة من نوعها في ظهورها وحيويتها وجمالها وبقائها، فإنني مشتاق للسمع إليه.

قلت: نعم ثمة حقيقة جديدة عندي بالتسجيل والبيان وهي: أنه كما جعل أعداء الإسلام الألداء العتاة الفجرة، دنيا الأستاذ سعيد النورسي وطلابه جحيماً لا يكاد يطاق، فقد تجلّى الله فيه برحمة خاصة فألهمه علماً من لدنه بجانب عبقريته النادرة وأخذ يصنع من صفحات رسائل النور رياضاً من نعيم للقلوب والعقول.

وهكذا يمكرون ويمكر الله فيزهق باطل الأشرار ويطل سحرهم ودجلهم، وهكذا كذلك ينبغي أن يكون دعاة الإسلام الحق في كل مكان وفي كل زمان أبطالاً

يتحدون طوفان الكفر والطغيان حتى يأذن الله لهم بالنصر والتمكين. ومن يقرأ رسائل النور قراءة من غير حاجز عازل؛ يجد فيها نفحات تلك الرياض المونقة في عالم قلبه وفكره وروحه بل وفي كل ذرة من ذرات كيانه كله وكأنه يتجول في رحاب جنة من جنات عدن.

قال موقناً: وتلك نعمة ربانية سابغة لا يسديها الله تعالى إلا لعباده المختصين، المتقين، الصابرين.

قلت مؤكداً ومؤيداً: هذا ما لا شك لي فيه ولو مثقال ذرة!

فقال معقّباً وهو يتطلع: ولكن ألا تخبرني لماذا يركز العلامة المجاهد سعيد النورسي في رسائله كثيراً بل وكثيفاً على الركن الإيماني في دعوة الإسلام بشتى فنون العرض ومختلف ألوان التبليغ؟!

قلت: صدقت. هذا ما يدور في خواطر كثير من القراء ولربما لم يتوصلوا إلى تلك القناعة التي يطمئنون بها في ثقة ورضى تامين.

قال: وكأنني بك تريد أن تقول: عندي كالجبهة الخبر اليقين!

قلت: ذلك ما اعتقده والله المنة وحده.

فقال: هاتها إذن.

قلت: وأقول وبه أستعين:

- اعلم أيها الأخ العزيز!

إن رسائل النور بدأت أول ما بدأت بحقائق الإيمان وأنوار أركانه المنسية المعطلة المشوهة بل الفاقدة فاعليتها وسحرها وأثرها المفروض في قلب كل مؤمن يقظان بعدما طال الأمد وقست القلوب.

أمّا غيرها من المؤلفات ولعل أكثرها كما نعلم يبدأ من حيث كأن الإيمان

قضية مفروغ منها ومنته أمرها ومن ثم بل ومن أجل ذلك فلا حاجة - في ظنهم أو بالأحرى في اجتهادهم - إلى تفصيل فيه أو بيان أسرارهِ وأفاعيله وضرورياته، فيمضي مسرعاً ليصب كل همومه وطاقاته في الجزئيات والفرعيات وفي المظاهر والقشور والنقوش والأصباغ إلا أنه ما أن يقطع مسافة في رحلة الحياة والدعوة والجهاد عبر أرض الواقع الصلد الحارق؛ حتى ينكشف ضعف البناء ورخاوة الأساس وهشاشة القاعدة.

ولذا فقد أعلنت الرسائل وقررت منذ الخطوة الأولى لمسيرة النهضة الإسلامية المباركة: أنه لا عودة إلى القوة والمجد والصلابة والثبات إلا من البداية وأنه لا صلاح لها إلا بما صلح به أولها. وتلك سنة الفطرة التي فطر الله الكون ولا تبديل لسنته أبداً إلا أن يشاء الله، فالدار هنا دار الحكمة وهي المزيج الطيب المتناسق بين قوى العقل والقلب والإرادة والتجربة: ناموس نواميس الحق لهذا الوجود من الأزل، فلم يغيّره لأحد ولن يغيّره لأحد.

وهكذا فقد بدأت بدايات هذا الدين القيم بالإيمان أولاً، ولمدة أطول من المرحلة الثانية.. مرحلة الحياة والشريعة كما تشهده السيرة النبوية الخالدة بدليل أسطع وأظهر من الشمس!

وما المعجزات والخوارق والكرامات إلا ومضات تذكير وإلاّ دلائل إشارة للتأييدات الربانية للحجّي القدير القيوم ليطمئن من كان له سمع حديد وقلب شهيد.

نعم أيها الأخ العزيز لقد استقصى النورسي الحقائق بثاقب بصره وبصيرته أن الزمان قد تبدل وأنه سيتبدل أكثر بما قد لا يتصوره كثير من أهل العلم والعقل وما قد لا يكاد يستطيع أن يتخيل مدها وأبعاده نحو أفول معالم الإسلام خاصة ولو إلى حين! فلقد رأى رأي اليقين أنه قد أنهد السد العملاق: سدّ الإسلام العظيم وبدأ يخرج في الساحة نوع من نسل يأجوج ومأجوج من مخابئ القدر وأوكار الدهر وسيكتسحون بزخوفهم الشريرة المدمرة وأقدامهم الملوثة بأقذار الكفر والضلال في حمأ الغرب

المتوحش المسنون هذه المرّة، وسيجتاحون العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه من مغرب الشمس: كهف الظلمات والأوهام والأشباح والخفافيش البشرية! أجل هكذا تلقّى رادار قلبه العبقري الحساس فعزم على استدراك الأمر ولو بجهد قليل بسيط متواضع، متوكلاً على الله وحده الذي لا تأخذه سنة من نوم، ومعتمداً على خلوص ثقته به سبحانه واطمئنانه إليه مهما ساءت الأحوال وتعقدت الأمور، وطغت النفوس؛ لأن المؤمن المجاهد الحق لا ينبغي له أن يعجز أو يكبل بل ويجب أن يبذل كل ما في وسعه ويقدم كل ما في استطاعته. والباقي على الله!

لذلك نراه قد أتجه صوب إنشاء جامعة إسلامية جديدة تجمع علوم الدنيا والآخرة تحت أروقتها لأول مرّة في تاريخ الجامعات الإسلامية في الشرق منذ قرون متطاولة. ولكنه لم يفلح ولم تواته الظروف الملائمة المتاحة على أن يكتحل عينيه بشموخ هذه الفكرة الوليدة المجسدة من حجارة وطين على ضفاف بحيرة «وان» كما خطتها هو ووضع حجر أساسها على أمل بالإنجاز.

ولمّا عاينته فكرة زوال المشروع إلى الأبد وأنه لن تقوم لها قائمة مادام حيّاً؛ فقد ألهمه الله وعوض عنها بعبقريته الفذة الشهيرة جامعة إسلامية معنوية على أروقة صفحات الرسائل العظيمة التي سمّاها بـ«رسائل النور» أي جامعة النور، تقوم مقام الأساتذة والكليات معاً إلى حين.. إلى حين أن تعود الحياة إلى مجراها فتعود الأروقة تتردد أصداً أصوات الأساتذة الكبار للعلوم الدينية والدينية معاً مجارة بما تقتضيه عبقرية روح الدين الإسلامي الحق الأعلى وضرورة العصر الذي نعيش فيه والتقدم العلمي الحديث للإنسانية في هذا القرن والقرن الذي يليه.

فكانت تلك الجامعة الإيمانية الكبرى المسمّاة - كما أسلفنا - برسائل النور خليفة أميناً ومرشداً حكيماً لطلبة العصر بمختلف طبقاته الاجتماعية والثقافية دون تفريق ولا تمييز بل وسهلت الأمور متحاشية كل منغصات ومعضلات الجامعات العالمية بأن نقلت حرمها وقاعات تدريسيها الطاهرة إلى البيوت، وتلك لعمر الله

تلبية ذكية ومنحة ربانية لحاجات المسلمين العصريين في واقعهم المأساوي الجديد والتي قلما تجد لها نظيراً وهي أولاً وأخيراً توفيق رباني محض ورعاية إلهية صرفة أودعها وأكرمها عند رجل صالح كفوء أهل لها.

وهنا أسجل ملاحظة قيّمة أرجو أن تكون جديرة جداً بالالتفات والتصديق من قبل جيل الصحوة الإسلامية المباركة بالدرجة الأولى وهي: أن الغاية الأسمى والأسنى من سمات منهج رسائل النور من وراء كل حقائقها وأنوارها وسننها ومباهجها وخطواتها وفتوحاتها هو العروج درجةً درجةً على سلم الكمالات الربانية على صهوة براق الأسماء الإلهية الحسنی مثولاً مقبولاً ومرضياً بين يدي الله سبحانه في رضوانه الأكبر وجناته الخالدة مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين: ملوك السموات السرمديّة في أعلى علي الصلحة الفردوسية مع «الله ذي الجلال والإكرام» في أزال الأزال وأباد الأباد، في أجمل وأسعد مهرجانات الحرية وفي أمجد وأخلد أعراس المحبة.

قال - بإعجاب ظاهر ينم عن طيب روح يفتخر بما أنعم الله على أخيه الحبيب وهو يحدثه ويحاوره-: لقد قطعت شوطاً بعيداً في التعرف على بعض جوانب أسرار رسائل النور وحقائقها؛ إلا أنه لا يزال يبقى -في قناعتي- ما يهم القارئ والباحث دائماً في جولات استطلاع أخرى في كشف حقائق تلح عليه بالإيضاح والإفصاح مهما أجدنا نحن في إبراز معالمها وخصائصها. منها مثلاً - وهذا ما يشغل فكري منذ زمان- وهو تُرى بأي أسلوب من الأساليب كتبت الرسائل وما مميّزاتها الخاصة بها في هذا المجال لو قارناها مع غيرها من الكتابات الإسلامية المعاصرة أو الغابرة؛ حتى نستطيع أن نقف على بعض حقيقة سرها وسحرها وأن نحكم على تفوقها وتفردا كذلك؟

قلت -وأنا أتفلس الصعداء-: شكراً جزيلاً على حسن طرحك هذا الموضوع المشوق البهيج على بساط الحوار بيننا إذ فتحت لي باباً طالما تمنيت أن أقدم فكرة

طيبة عنها وأن أئبئها للقراء الأعزاء إسهاماً مني في إلقاء ضوء كاشف متواضع على خفايا هذه الرسائل الملهمة المهداة لأهل زماننا والتي ظهرت شعاعاً من شعاعات رحمة للعالمين التجديدي اليوم خاصة في حقول الدعوة والصحة والجهاد الأقوى. فأبدأ وأقول:

إن رسائل النور تمتاز بظاهرة جلية بارزة بفن التخييل والتصوير والتمثيل المطبوع المبدع في كل جزء من أجزائها بشكل ملحوظ وملموس بحيث لا يكاد يفارقها لحظة وهي طرّتها وشعارها الأصيل اللامع، تتلألاً كالدرّة النادرة بين كل ما وفق الله للكتاب العباقرّة المؤمنين من الأساليب والمناهج والسبل البلاغية في تاريخ الأدب الإسلامي حتى هذا اليوم فهي في ملامحها العامة شعر لا كالشعر وهي نثر لا كالنثر وهي مزيج من الاثنين معاً بل ولعلي يمكن أن أسميه بالشعر المنشور أو النثر المشعور؛ شيء عجيب بديع. إنها أشبه بنت بالبلاغة القرآنية الكريمة ولا حرج، في عشرات من العلامات والسمات والصفات^(١).

فسبحان الله العظيم من هذا الأدب الموسوم بأدب ملهم من الوحي، إنها ظاهرة جديدة في عالم الآداب الإنسانية الجميلة.

ومن بدائع بديع الزمان ما حققته رسائله النورية من انتصار في ميدان اللغة والفكر كذلك. إنها عملت بأسلوب بارع وحكيم - كما يعمل المهندس المتقن - دوره وواجهه في مدّ جسر بين طرفي الحاضر والماضي تضييقاً للهوة المخيفة العميقة لتخريبات المردة البشرية من المفسدين في الأرض - في المحافظة على روح اللغة الإسلامية وتجديد عبقريتها حاملة سرّ وعي الحضارة الإسلامية في معاني كلماتها الطيبة وعجائب مدلولاتها وروائع اصطلاحاتها كركيزة من أقوى ركائز الذاتية الخالدة لهذه الأمة القائمة في محراب السجود لله ربها تبارك وتعالى، تصلي وتدعو

(١) لدي شواهد وتوافقات كثيرة تثبت لكل قارئ كريم هذه الحقيقة أرجو الله أن يوفقني في إخراجها كتاباً قيماً بإذنه تعالى.

وتناجي وتهفو ثم ترتقي وتعرج إلى ما وراء حدود السماوات وتخوم الأبديات حباً للحق، وقرباناً للنور.. هناك في عالم الملكوت الأعلى.

ولعل هذا الجانب الخطير المنير يحتاج إلى أقلام فتيّة خبيرة في بيان رسالتها في مراحل تاريخ هذا التطور المعاصر للأمم التي قدّم صاحبها حياته وعلمه وجهاده رخيصة فداءً في سبيل دينها والتمسك به.

والمدقق في أدب الرسائل النورية للأديب المفكر المبدع سعيد النورسي بتفحص نابه، يجد ببساطة أن لغة النورسي الرسائلية لغة شعرية طليقة إلا أنها غير موزونة ولا مقفاة، ولعل المعاني الكبيرة والتعبير العجيبة أعجزت لغة الشعر المقفّي أن تحتويها أو تسجنها بين قضبان قوافيها وأقفاص أوزانها؛ ولذلك جاءت مسترسلة منطلقة خافقة كأجنحة الملائكة إلى سماوات المعاني العظيمة رغم أن بعض فقراتها حاولت على طبعها المناسب وسليقتها الإنسانية الشاللية، تتقارب من بحور الأوزان ومن ضفاف القوافي.

فهو بحق شاعر معنّي ومضموناً بل ومن أعظم الشعراء في هذا الصدد، وناثر مبدع أصيل لفظاً ومظهراً بل هو من البلغاء العظام في باب، وفارس مغوار قلّما تجد له نظيراً أو قرباناً في مضاميره وساحاته.

وانا شخصياً - بعد إجراء مسح عام تقريباً لمعرفة أساليب البيان في كتابة رسائل النور في مجلداتها بلغتها الأصلية المكتوبة بها وهي اللغة العثمانية- توصلت إلى ما يمكن وصفها وصفاً دقيقاً مصيباً إلى درجة بالغة بأن: أسلوب كتابة رسائل النور هو «لغة الجماهير المسلمة».. لغة إفهام معاني الإيمان وحقائقه وآفاقه في أوسع دوائره بين الناس عندهم.

وهذا لا يعني بتاتاً تعطيلها من أسرار البلاغة والفصاحة، بل العكس - كما أرى - هو الصحيح؛ ذلك لأن الأستاذ بديع الزمان: مؤلف الرسائل؛ استطاع - بتوفيق من

الله- كما يصرح هو بنفسه أكثر من سبعين مرة أن يكتب تلك الرسائل العميقة الواسعة الأصلية بما يشبه السهل الممتنع كما يقول الأدباء والنقاد.

وهي وإن كانت من جهة قمم الكتابات الأدبية العالمية الراقية بشهادة شاهد من شهود القرن: الشاعر التركي الرائد الشهير محمد عاكف؛ إلا أنها في الوقت نفسه تخاطب عقول العوام وروح الجماهير البشرية في عصرها خاصة، بأقوى عبارات وأثبت حجج وأصفى بيان.

وهذا سرُّ إعجازها النسبي الذي ذكرناه. إنها بكلمة أوضح لغة الفطرة الملهمة التي أكتشفها أو منحها له إياه بين ركامات الأساليب اللغوية الركيكة أو الضعيفة أو القاصرة بناء على فقره المطلق وإخلاصه الأعظم وإيمانه بل وإعلانه الصارخ لعبديته العاجزة المسكينة المحتاجة المهتاجة أمام باب حضرة ربه جلّ جلاله.

ولعلي الآن بدأت أفهم ما قد ذهب إليه نجم الشعر الجديد في سماء الأدب التركي المعاصر «محمد عاكف» عندما سئل عن أدب رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي فقال ما مضمونه ومعناه:

«أتى لرعيل الكلاسيكية الغربية أمثال (شكسبير، وهوغو، ولامارتين، وغيرهم) أن يرتقوا فيستحقوا أن يكونوا خداماً ليصبّوا الماء على يديه وهو يتوضأ من نور أدب القرآن المعجز؟».

مقارنات عابرة

قال بعد طول تفكير: وهل لك بعد كل ذلك أن تحدثني جانباً من مقارنات رسائل النور عن غيرها، فبم مثلاً يختلف كل الاختلاف عنها أو تختص بها من دونها؛ فلقد طالما سمعت عن هذا الأمر شيئاً غير قليل ولا مفهوم؛ عن بعضهم؛ ما لفت نظري وأثار فضولي، لعلي أجد عندك بعض ما أبحث عنه في هذا الخصوص ولاسيما وأنت الذي صاحبت هذه الرسائل سنوات طوالاً لا تكاد تفارقها إلاً لمسبب قاهر.

قلت: حسنا سأذكر لك طرفاً منها بنبذ ولمحات وأدع تفاصيلها للأيام عسى الله أن يهيئها لك فتملاً عينيك وأذنيك وتملاً أقطار أفكارك وجنات نفسك فتتوصل بنفسك إلى أطراف أخرى من حقائقها ودقائقها ومن تحفها وكنوزها كذلك؛ فهي والحق: مكتوبات مكثفة مخزونة بجواهر المعاني وجلال المغازي وبلغات الإشارات ومفاتيح الكشوفات:

- إنها - إن صدقتها - تجعلك أقوم إنسان تتحرك وتفكر وتعمل من دون قسر أو ضغط أو اعتبار آخر فهي من الفطرة إلى الفطرة وتعيش في ظلالها إنساناً ممتازاً متمتعاً بشمرات الحياة والإيمان والشباب والجهاد في آن واحد بتجاوب وتوازن وذوق وشعور وجمال وروحانية وفكر ونور.

- إنها تمسك بلسان الميزان بين كفتي عبقرية الروح وعبقرية المادية إلى أوج آفاقها وهي - من غير مبالغة - كتاب العصر ومنهج العصر ورائد العصر لطموحات العصر بل وأقصى طموحاته في غزو كل شيء ثم للتعارف مع كل شيء والتجاوب مع كل شيء.. معراجاً لمراقبي الروح والفكر والمادية.

- إنك عندما تقرأ رسائل النور فكأن ما تقرأه منها أنت كاتبها، وكأن ما تتكلم أنت ناشرها، فهي ملكك أنت وهي خارجه منك ونابعة فيك وتعود مالكيها - وهنا مبعث الاستغراب - إلى القرآن الحكيم لا إلى المستخدم المأجور، والعامل المكدود في مطبعة الحروف القرآنية. فأنت هنا التلميذ والأستاذ والصاحب والناشر والكاتب في آن واحد بكل تواضع وفخر وبكل ثقة وفطرة وبكل جد وإيمان، فهي حق وأنس وهي روح ونفس سواء بسواء.

- أستطيع أن أقول ومن غير أن أتجن على أحد وبقناعة مطمئنة: أن رسائل النور تمتاز بشارتها الربانية وبصبغتها القرآنية المطموغة بسرٍّ من حقيقة الآية الكريمة: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥).

إنها كلما قرأتها ازددت ثباتاً وصواباً وأنها كلما مضت أحداث وأيام ازددت يقيناً واطمئناناً على استقامة منهجها وصدق خطواتها وعبقريتها وأصلتها. بينما يحصل العكس في غيرها أكثر الأحيان، إذ كلما مضت الأيام استبان نفاصها وانكشفت أخطاؤها وافترضت عوراتها. وتلك لمحة بارقة من لمحات المعجزة المعنوية للقرآن الكريم حقاً كما يراها مفسرها خادم القرآن بديع الزمان.

- إنها بدأت بالأمين وأنصاف المتعلمين وما زال يرقهم في مدارج العلم والحلم والإيمان واليقين حتى أخرجهم إلى الوجود بعد بضعة سنين علماء دعاة وجعلهم حكماء قادة يعرفون كيف يعيشون بموازين الوحي ومناهج السنة في بيوتهم ومجتمعاتهم بدينهم الحق إلى أعماق آفاق الحياة والعصر كأعظم الخبراء وأوفقهم للفلاح على سنن التطور والكمال بصبر ووفاء وصدق وصفاء.

- إيجادها أقصر الطرق واختيار أيسر السبل بأقل الزمن وأزهد الثمن للوصول إلى معالي الأمور وقمم الحقائق ورياض الأنوار.

- إنها قطعت الطريق على الأعداء المعاصرين الذين يُصنّفون قادة الإسلام

ورواده بين حين وحين كلما رأوا ثمرة نضجت عملوا مناجلهم الجهنمية القاسية في حصادها للموت قطعاً للنسل الجديد المجاهد وقبراً للجيل الناضج المتطور.

فهي على خلاف هذه القاعدة: إذ إنها هيأت لقارئها في كل مكان حصانة ربانية ومناعة سرية ضد هذه الأسلحة العصرية الفتاكة بأن ركّز على القيادة المعنوية والشخصية المعنوية مما جعلت الثانية (أعني الأشخاص وأعلام الإسلام) يأتون بالدرجة الثانية. وهي ما تفتأ تبعد في إخراج نماذج جديدة صلبة مؤمنة واعية لحلبة الوجود، وبذلك فوتت بإذن الله على الأجهزة الجاهلية المتفرعة أعلى فرصة وأخطرها للقضاء على براعم وأثمار الشخصيات الإيمانية المجاهدة الفقهية. وهذه أرقى سلاح معاصر وأمضاه تشهره رسائل النور ضد أعداء النور، وعبدة الظلمات وجلادي الشعوب الطواغيت مؤكدة دائماً وصارخة كزئير الأسد الغضوب في وجه الأيام: إن الزمان اليوم ليس بزمان الأشخاص بل هو زمان الشخصيات المعنوية العاصية على التفتيت والانزهاض والفناء.

وأزيدك ختاماً بهذه الخلاصة المفيدة وهي:

إنني قرأت خلال نصف قرن أو يزيد مئات الكتب، ولكنني لم أجد من بين تلك الكتب كتاباً هو أشد قوة وأعظم حلاوة وأسنى نوراً وأكثر وضوحاً وأصفى إخلاصاً وأفهم للروح والعقل والفترة وأدوم أثر وأكثر فعالية وأقرب منالاً للحقائق والمعاني والأسرار والرموز والمصالح الدنيوية والأخروية وأدنى لصوقاً بواقع الحياة المعاصر وأوسع أفقاً وارتفاع مستوى وأفقه إيماناً وأرسى قواعد لصرح الحضارة الإسلامية الجديدة المنتظرة.. من رسائل النور.

نعم إن رسائل النور- بعد دراسة وفهم وتذوق - وبعبارة مختصرة جداً هي:
«ناطحات السحاب» في مدينة الكتب الإسلامية المعاصرة.

الفصل الثاني

حول الأستاذ النورسي نفسه

وقال وهو يعاود الحوار اللذيذة معي :

-وماذا تعرف عن صاحب الرسائل نفسه الذي تجلّت أنوارها كما فهمت من أفواه بعض الناس في لسانه وقلمه وفي سيره وسيرته؟!!

قلت: إن ما أعرفه عنه إنما هو خلاصة رحلتي في عالم رسائله الرحب العجيب عبر قراءتي المتأنية المتواليّة لها وهي تتحدث عن ما وراء شخصيته المعتادة المعروفة أمام أنظار الناس أينما حلّ وارتحل عما سمعت عنه بألسنة طلبته القدامى الثابتين العاملين، ولذلك أريد أن ألقى ضوءاً هادئاً دافئاً على آفاق شخصيته المعنوية العظيمة والتي تهمننا أكثر مما تهمننا حياته المحنطة كالصور الفوتوغرافية والمصورة بأصابع الليل والنهار حيث لا جدّة ولا غرابة بل هي أرقام وحروف وخطوط.

قال مستوضحاً: قل كما تشاء ولكن أفصح.

قلت جاداً: فاستمع وأنصت إذن ولا تقاطعني حتى أحدث لك منه ذكراً.
قال: رضيت ووافقت.

قلت: سأحظر جُلّ اهتمامي لمعرفة أبعاد حياته كما أراها في محاور ثلاثة:
تعاريفي الخاصة عنه، نماذج من صفاته، لمحات من منجزاته...

فأبدأ أولاً بالتعاريف قائلاً:

إن كليات رسائل النور لتبين بما لا يقبل الشك أو الظن؛ كفاءة الأستاذ بديع الزمان وبروزه وتفوقه في كل فن من فنون الحكمة للعلوم الإسلامية: فإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز مثلاً يبين قدرته كمفسر بارع، والمثنوي العربي النوري كأديب حكيم، والمناظرات كفقيه واعظ، ورسالة الحشر كفيلسوف عبقرى، والمكتوبات كداعية بصير، والشعاعات كعالم لامع، والمعجزات الأحمدية وأصول فهم الأحاديث

كمحدث يبرز أقرانه المحدثين في زمانه واكثر، وفي تفاريق رسائله الأخرى كعلامة رائد في علم الكلام لا يشق له غبار.

أما كتابه الابرع والألمع «سوزلر: الكلمات» فيظهره كأستاذ متربع على عرش الولاية بكل لياقة وجدارة تماماً كما كان القدر قد أجلسه على شجرة الدلب المنتصبه كالعملاق ذات الأفرع الثلاثة الشامخة السامقة كأنها معراج ممتد عند قاعدة بوابة السماء أمام بيته المتواضع ثمانية أعوام كاملة في قرية «بارلا!»

هذا ولئن كان الشيخ عبد القادر الكيلاني كما لقبوه في عصره بالباز الأشهب في قمم الإرشاد والهداية؛ فان الأستاذ سعيد النورسي عند محبيه هو العندليب القرآني الأمثل في سماء الدعوة عبر أجيال قافلة المجددين.

* إنه في أحدث تعريف لي من تعاريفي العديدة له أنه بحق: فيلسوف الدعوة الخبير للطلائع الإسلامية المعاصرة، والمهندس العبقري اللامع لخرائط المناهج القرآنية أمام تحديات الأزمنة الجاهلية المرتدة في حاضرتنا اليوم لتبليغ الحقائق الكبرى في أوسع جغرافيات الجماهير المؤمنة بأروع شوط وبأسرع وقت وأعظم نصر وأقل خسر.. فهو من هنا يعتبر موسوعة إسلامية كبيرة أمينة باهرة في بلاغة الأصول والموازين والقواعد للعمل الإسلامي الجاد العصري المنصور على مناهج النور المبين.

فما أشد حاجة المسلمين اليوم بالذات في أقطار العالم كله في التعرف عليه ودراسة مراحل الثلاث: القديم والجديد والثالث، واستخراج الدروس والعبر من حياته وكفاحه وفقهه ومخططاته، فهو اكثر من عالم في فن.

* ولعل من أصدق ما يمكن أن يوصف به الأستاذ بديع الزمان الذي ينسجم ويوافق روح شخصيته وروح رسائله معاً هو أنه: الرائد الجماهيري المسلم الجسور العارف الذي عانى ما عانته وشقي ما شقته وعاش ما عاشته لحظة بلحظة وذاق مرارة قطرة بقطرة.

فهو لذلك عندي خير مثال من يمثل روح الجماهير المسلمة التي انحدرت بعد سقوط الخلافة ثم أخذت تنهض نهوضها بتناقل وكفاح وعناد بل وعبقريّة وشجاعة وحكمة نادرة في تاريخ الحركات المعاصرة للدعوة الإسلاميّة.

وهو برسائله المئة والثلاثين ظاهرة فكرية وعلمية في عالم الحضارة تستحق الدراسة كل الدراسة من لدن العاملين الخبراء العاديين فقد تكون أعجوبة الأعاجيب في نوعها وأسلوبها ومنهجها وأبعادها ومن ثم في أثرها وثمارها ما تؤذن بيشائر الخير العظيم بعد هجمة هذا الشر المستطير الذي يعم المعمورة اليوم شرقاً وغرباً وتؤذن بطلائع فجر جديد للعالم الإسلامي المنكود البائس، بابتكار نهجها السليم الحكيم العظيم.

* عندما أذن القدر بإرادة الله ووفق سنته أن ينحدر نجم السلطان عبد الحميد: ذلك البطل المسلم المظلوم والمفتري عليه، للأفول إلى الأبد كخادم للشريعة الإسلاميّة الغرّاء في نهاية القرن الثالث عشر الهجري.. هياً الله في عاصمة الإسلام الأخيرة نفسها لنجم بديع الزمان سعيد النورسي للتألق إلى الأبد في سماء العالم الإسلامي المتداعي كأعظم خادم للقرآن الكريم في بداية القرن الرابع عشر؛ ليكون سلطاناً حيباً نجيباً لملايين القلوب والأدمغة والأرواح من المسلمين المجندين في معسكر الدعوة الإلهية لإعلان راية العبودية الخالصة الخالدة لله رب العالمين.

وهكذا نرى ونلاحظ كيف يتجلى ميزان الرحمة الإلهية والعدالة الربانية في أفول بطل وبزوغ بطل وكلاهما من رجالات القدر.

* نعم إن السيد سعيد النورسي أحد أواخر عباقرة الإسلام الأفذاذ الغرباء يعلن بلسان فصيح عال من على منبر بلاغة الصحافة الإسلاميّة المجاهدة بمطلع عصر «الشخصية المعنوية العظيمة» للعمل الإسلامي الجماهيري الأصلاح، وينعي عصر العمل الفردي الضعيف الضئيل الذي بدأ الزمان يشيعه على ألعانه الجنائزية إلى مقبرة الغروب المحتوم وراء أفق هذا العصر المدبر.

قال وقد قلت زمام نفسه من يديه مبهوراً بهذه العبارات: رائع!

قلت: وأثنى بشيء من نماذج صفاته وأقول:

* إن هذا الرجل الصالح شخصية حضارية مرموقة واسعة فاعلة متحركة متنوعة جذابة قلما نجد لها نظيراً أو بديلاً في تاريخ رجال الفكر والدعوة والتربية والسياسة. لذا تتسع دراستها لجوانب شتى.. فهو مثلاً شيخ الشيوخ في زمانه ولا يشبه الشيوخ المعروفين في عالم المتصوفة. وهو عالم العلماء في عصره ولا يشبه العلماء التقليديين في دنيا العلم؛ بل هو نسيج وحده وفريد دهره وأعجوبة أعاجيب الأيام يحمل ارفع وسام الشرف في خدمة القرآن وفن تبليغه البليغ الثائر الحكيم ما يستحق بحق أن يلقب بـ «بديع الزمان».

* إنه شخصية عملاقة فذة عبر أجيال من القرون: فهو رجل وكتاب معاً أي أن رسائله كأنها هو، وهو كأنه رسائل النور. وهذه - في نظري - لمحة أو لميحة أخرى من أنوار حقيقة قوله أمانة الصديقة «عائشة» رضي الله عنها لما سُئلت عن خلق الرسول العظيم ﷺ فقالت كلمتها المشهورة الخالدة: «كان خلقه القرآن».. عمقاً وسعة وارتفاعاً.

* ومن أعجب مزايا الأستاذ العظيم سعيدنا النورسي الذي انفرد بها من بين فطاحل العلماء وحتى من طبقة المجددين المشاهير أنه لم يكن لديه لا في السفر ولا في الحضر، مراجع أو مكتبات يعتمد أو يستند عليها في فتاويه ومواقفه وإرشاداته بل كان لا يملك لديه على وجه الأرض غير القرآن الكريم وما يضم في طوايا صدره من مكتبة المتون التي بلغت على حد قول أحد تلاميذه الأوفياء «مصطفى صونغور» نيقاً وثمانين كتاباً من أمهات المصادر.

وهذا جانب مخفي من جوانبه المجهولة، يزيد إعجاب الدارس الحصيف إعجاباً على إعجابه وطابع آخر من طوابع عبقريته النادرة في عصرنا فعلاً بل وإنه ليلقي ظلاً

ربانياً كريماً على صبغة علمه اللدني بما لا يدع للثنتين الفاهمين مجالاً من جدل أو خلاف وهي سمته الخاصة به.

حقاً كان الأستاذ النورسي لم يكن معه طوال حياة السعيد الجديد أو السعيد الثاني كما يطلق هو على نفسه أحياناً؛ لا مصدراً ولا مرجعاً واحداً عدا القرآن الكريم ولكنه كان يحمل معه مكتبته التي تضم أصول العلوم الإسلامية ومتونها موضوعة فوق رفوف ذاكرته الخارقة ومسجلة على شرائط قلبه العبقري باقتدار نادر رغم حياته العاصفة المحفوفة بالأهوال والمخاوف والمخاطر والشدائد حتى لكأنه كان هو وحده يحمل كوارث العالم الإسلامي الجريح، على كاهله مع شدة ضعفه وعظم عجزه فكأن أن صاراً بفضل الله وحكمته سر قوته وسر نصره وسر عظمته في تبليغ رسالته وتحقيق مهمته بنجاح مدهش جدير بالدراسة والاعتبار لدى مراقبي الحركات الإسلامية المعاصرة لأمة محمد ﷺ.

فهل من باحث باسل يتصدى لهذه المهمة المقدسة التي تعود بركاتها على المسلمين المعاصرين خاصة والمسلمين المنتظرين دورهم وهم صفوف وراء الغيب عند أفق الغد القريب عامة وله البشرى في الدنيا والآخرة؟!

* إن أستاذنا بديع الزمان هذا، خليط عجيب ومزيج نادر في عالمنا الحاضر نحن خاصة.. فهو عالم وليس كالعلماء، وهو صوفي وليس كالمتصوفين، وهو أديب وليس كالأدباء، وهو مفكر وليس كالمفكرين، وهو داعية وليس كاللدعاة وهو مرب وليس كالمربين، وهو قائد وليس كالقادة.. وأخيراً وهو سياسي وليس كالسياسيين.

وهو بمفرده دائرة معارف خاصة في العلم والأدب والتصوف والفكر والدعوة والتربية والقيادة والفقه والسياسة. ففيه من كل فن نصيب وافر، وحظ سافر ولكنه فوق ذلك فهو تكوين مركب وأمشاج منسق ونسيج متفرد، ومن ثم فقد حُقَّ له من هنا أن يسمى نفسه - متواضعاً أو تأديباً - ببدعة الزمان! كما وحُقَّ للناس أن يلقبوه بديع الزمان، أين منه بديع الزمان الهمداني؟!

ولذلك يمكننا - وهنا أتكلم نيابة عن قراء رسائل النور الوعاة- أن نقول من جملة ما نقول عنه.. أنه عالم بديع، وأديب بديع، وولي بديع، وفيلسوف بديع، ومرتب بديع، وداعية بديع بل وإمام بديع كذلك.

هذا بديع الزمان كما عرفناه من آثاره ورسائله وحياته ومدرسته ومناهجه وطلابه ودراسات المحققين البارزين فيه وشهادة الشاهدين له من الذين عاصروه وراقبوه سواء على صفحات الوثائق أو على لوحات الرقائق. فهو خادم وإمام، وهو هو دائماً: بديع، بديع، بديع.. أينما وقفت تنظر إليه، وهو مظهر تجلٍّ من تجليات اسم «البديع» فيما أنيط به من خدمة القرآن الكريم قائماً يدعو في محراب الإيمان الطهور!

ومن أغرب صفة من صفات الأستاذ النورسي الأخلاقية العالية بل ولعلها أوفقها لطبيعته وسجيته من بين أقرانه من المجددين أو من جيل عباقرة التجديد الديني في الإسلام أنه: سهلٌ، لينٌ، متسامح، عف اللسان والجنان مع أهل الجماعات الإسلامية وفرقها بما يكاد يلمس لمساً حتى لتستطيع أن تقول -وأنت صادق ومطمئن-: أنه لم يسبق له أن جرح فئة مسلمة أو عنف طائفة مؤمنة لخصوصية من خصوصياتها التي تعد في نظر غيره تحريفاً وانحرافاً أو ضلالاً، بناءً على ما لديه من ميزان قويم كفتاه الرحمة والإنصاف.

وهكذا يكون قد فتح هذا العلامة الفهامة بموقفه المشرف الحكيم هذا باباً جديداً لمفهوم فلسفة التجديد لما بعده من أجيال أهل الهمة والمهمة لأداء رسالة أمانة التجديد في مسارات التيار الإسلامي الرقراق في نهر الحياة.

فهو بهذا الاعتبار ومن هذا المنظار أول من دعا إلى الإيجابية الطيبة الفعّالة في الدعوة إلى الإسلام: إيماناً وحياءً وشرعيةً، وأول من طبقة على خطوات جهاده، ووقّعه على بصمات فتوحاته، وهو أول من أرسى دعائمها في كيان جماعته ليكملوا مشوار المراحل الأخرى من بعده على نهج هديه، ونور فقهه، وعبقريته روحه.

ونظرة إلى واقع طلابه الأوفياء وإنجازاتهم البارعة السبّاقة في هذا الميدان الأصيل

للعمل في سبيل خدمة هذا الدين العزيز، تقطع كل شبهة وتحقق كل حسنة بل وتقيم مناراً كالفنار على سواحل البحار لا يحتاج إلى نقاش أو دليل النفي والإثبات.

* لو اقتنعنا وصدقنا أن طلائع المهدي الأكبر الموعود بالباشارة النبوية المتواترة وتباشير بعثته على مراحل ثلاث: الإيمان أولاً، والحياة ثانياً، والشريعة ثالثاً بلا تقديم ولا تأخير وبلا استبطاء ولا استعجال.. فان لكل مرحلة من تلك المراحل مهديها المختص أو المهديون الصغار الذين يمهدون له طريق النصر العظيم بأذن الله. وعلى ضوء هذه النظرية، لا أشك لحظة واحدة من أن من بين من هم أولئك المهديون الراشدون من يستحق كل الاستحقاق بجدارة وإكبار وحب وتقدير؛ لينال لقب «مهدي الإيمان» أو بطل الإيمان وبالتعبير العصري؛ إنما هو ذلكم الأستاذ العبقري الملهم الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي. وان نظرة شاملة واعية لتاريخ حياته وبالأخص الأخص في مرحلة ما يسميها هو بنفسه: سعيد الجديد؛ لكفيلة أن يلمس المرء أو القارئ الجيد بنفسه هذه الحقيقة بأجلى صورها، وأظهر ملامحها.

* هذا وأخيراً وليس آخراً، انك لو رحمت تستقصي جوانب شخصيته العملاقة الفذة على مدى سني حياته الحافلة بجلائل الأعمال وفرائد الأحوال:

فهو نسيح وحده قطب أقطاب، وفارس فرسان يجمع في سر أسرارهِ: روح الإمام الغزالي في تجديد علوم الدين، وبطولة صلاح الدين في قهر غارات الصليبيين الجدد، وعبقرية الشيخ عبد القادر الكيلاني في تصنيع الرجال الأخيار، وسحر جلال الدين الرومي في إظهار حقائق المعجزة المعنوية للبلاغة القرآنية، وحكمة الإمام احمد الفاروقي السرهندي في خطوات الدعوة وسياستها الشرعية البعيدة النظر.

وبكلمة أبلغ: إنه رجل قدر العالم الإسلامي في حمل أمانة رسالة الإيمان - المرحلة الأولى الأساسية من المراحل الجهاد الإسلامية الثلاث: الإيمان - والحياة - والشريعة في انتصار الدين العظيم وانبثاق فجر حضارته الثانية في دورته التاريخية

المترفة الآتية لا ريب فيها والظاهرة كعودة الربيع في يومه المقدور الموعود مثلما أنبأنا النبي الصادق الأمين ﷺ قبيل قيام الساعة ودمار الدنيا نهائياً وإلى الأبد.

... ثم ألق كلامه بكلام آخر من غير أن ينتظر مني جواباً أو تعليقاً قائلاً: ولا أكتمك أنني لم أكن أعرف عن هذا الرجل البديع حقا تلك الصفحات المجهولة بهذا العمق وهذه الخطورة.. فشكراً على هذا البيان إلا أنه يبقى عندي الشيء الذي لم أفهمه واضحاً ولم أستطع له تفسيراً معقولاً وهو: لماذا كان الأستاذ النورسي يريد أن يعرّف نفسه بتلك اللهجة وذلك الأسلوب؟ ألم يكن يخاف سوء الفهم أو أن يتهم بحب النفس وحب الظهور وهو من هو المعروف بنكران الذات والبعد عن الرياء.

قلت: إذن ثمة إشكال ولا بدّ من محاولة توضيحية وإزالته من الخواطر والأذهان.

قال: هذا بالتأكيد!

قلت: تسألني لماذا كان الأستاذ النورسي يعرّف نفسه بنفسه لطلابه وللناس في بعض رسائله وذكرياته أحياناً؟ أو بالأحرى ما الذي دعاه إلى ذلك؟

لعل الجواب الصحيح الدقيق في نظري والله أعلم إنه إنما فعل ذلك:

أولاً: تحدّثاً بنعمة الله التي منحها الله إياه من دون الناس بشكل نادر وغريب.

ثانياً: لكثافة التعظيم الإعلامي عليه آنذاك من قبل الأعداء الأقوياء والسلطات الجائرة لإخفات صوته وإخفاء صورته ومن ثم القضاء على دوره ورسالته.

ثالثاً: لعدم تصور المقربين إليه من طلابه وأصحابه وورقائه من مغزى رسالته وكنه شخصيته الجديدة مما ألقى عليه من قول ثقيل وأمانة تنوء تحتها الجبال الشم أسوة بنبية الأعظم سيد أسياذ الدعاة ﷺ.

وإلا فهو - كما نعلم - أبعد الناس في زمانه عن إطراء نفسه وتمديح ذاته وقد عانى ما عانى ومّر بهذه التجربة في عهده الأول وهو في أوج عزته وقمة شهرته في أكبر دولة عالمية آنذاك أعنى بها: الدولة العثمانية الكبرى.

قال معقبا باحتجاج مفتعل: وماذا تركت لي من شيء حتى أقول ما أريد أن أقول فقد أفصحت وأجدت وأرجو الآن أن تسرد لي حديثك الشيق عن منجزاته كما وعدت وأعلنت.

قلت: أفعل بعون الله وليكن كلك آذاناً تصغي وبواطن تتدبر؛ وأثّلت بلمحات من منجزاته فأقول:

إن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي - في يقيني - هو الأنموذج الأصوب والأسلم والأقصر والأبقى لفقه الجهاد المعاصر أمام أعاصير الكفر والطغيان وطوفان الجاهلية والإلحاد ويران الفساد والارتداد لمواكب الحركات الإسلامية الجديدة على خارطة قارتنا المسلمة.

لقد ثبت عندي بالأدلة والحدس والتجارب والقناعة الذاتية أن شخصية هذا الإمام المجدد نعمة ربانية مهداة، وبشرى عظيمة منجاة بما أجرى الله على يديه من تبيان منهج دقيق عميق، سليم حلیم، بديع منيع، سعيد رشيد، صائب لاجب، واسع شاسع، منير خبير، رائق شائق، واضح ناصح، لذيذ عزيز، حاد جاد، قوي عليّ، هادئ هادي من أقداس قلب حقائق القرآن الكريم وصميم السنة النبوية الكبرى.

فهو لذلك من هنا رجل القدر حقاً لمسلمي العالم الحاضر كله في هذا العصر، وإن لم تصدقوا فاسألوا أهل الذكر من خبراء رسائل النور وستعلمون وتيقنون في ذلك كل درجات اليقين تبعاً: علم اليقين أولاً ثم عين اليقين ثانياً.. فحق اليقين أخيراً. ولكن فقط لا تستعجلوا ولا تطلقوا الأحكام جزافاً من غير تحقيق عادل وتثبت محيط كما علمنا قرآننا في موازين الدين الحق بما يليق مقامنا الذي رفعنا إليه بفضل المحض بمعراج هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣). وهل يعقل ألا يكون شهداء مثل هذه الأمة المصطفاة إلا عدولاً غاية العدل ومنصفين منتهى الإنصاف في تقييم الأشخاص والجماعات والمواقف والأحداث!؟

* ومن أجل ذلك أرى أن كل مسلم صادق غيور في عالمنا البهيج كله أن يعرف معرفة تامة شاملة عن حياة الأستاذ الأكرم بديع الزمان وعن رسائله ومدرسته وآثاره وطلابه.. النموذج الحيّ الراقي الذي ضرب أعلى رقم قياسي في حلبة الخدمة في دعوة الله سبحانه وتعالى في هذا القرن بالذات للعبقريّة الإسلاميّة الخالدة ضد أطنى طغيان القرون الماضيّة المسلحة بكل أجهزتها الجهنميّة الكافرة للقضاء الأبدي على جذور هذا الدين وقد خابوا: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ (الصف:٨).

ولكن الأستاذ الملهم الجسور تصدّى لها كلها ببطولة نادرة جداً وحكمة بالغة جداً وإيمان خارق جداً... فكان حقاً بطل أبطال أولياء عصره بكل تواضع جم وتجرد مدهش وإخلاص فذ وبأقل التضحيات وأدنى الخسارات قياساً بل ومقارنة بغيره من الدعاة الآخرين فيما بعد.

وهذا بحد ذاته إنجاز رائع ضخّم يقتدي به أو يقدر لأجله وهو يسير بجماعته على هدي سيره نبي هذه الأمة العليا، ﷺ بفقّه سديد وأسلوب جديد.

* ومن ابرز الإنجازات التي حققتها هذا الأستاذ الحكيم والعارف البصير أنه لم يكن ممن حوالية من العلماء أو حتى أنصاف العلماء من غير الشباب الشهم الجريء المتطلع إلى آفاق النور ومدارج الحق ومعارج الخلق العظيم بل ولعل اغلبهم كان أمياً تاماً لا يقرأ ولا يكتب أصلاً فأوصلهم بهمة إيمانية متميزة إلى مصاف العلماء وهم اليوم - وخاصة الرعيل الأول منهم - مراجع أمينة ومحاوّر فعالة للقضايا الإسلاميّة العالميّة المعاصرة وقد فتح الطريق الجديد على ضوء فقه النور للعمل المقبول المشروع في مجتمع يتسم بكل مظاهر الخنوع والردة والفساد.. فكان عملاً جباراً وإنجازاً رائعاً يشهد له التاريخ القريب والحاضر القائم الحيّ.

* هذا وان بديع الزمان: هذا الأستاذ العظيم، ليمنح الإنسان القارئ من جملة ما يمنحه من عجائب العطايا السخية، منظراً ذا نافذتين لا نظير له في عالم صناعة

المناظير فيما يخص الإيمان بالله وحده.. تطلق أحدهما كالتلسكوب آفاق الأفلاك وما وراءها من عوالم الشهود، وتطلق الأخرى كالميكروسكوب آفاق الذرات وما أصغرها من عوالم الغيب المسموح به أن يطلع إليه عقل الإنسان المكرم في حدوده وطاقاته، حتى إنك لترى الدرة مجرّة والمجرة ذرة، وترى الزهرة جنة والجنة زهرة! فلو كنت أستطيع أن اسمع صوتي إلى أوساط المثقفين المؤمنين، أينما كانوا في أطراف العالم المتقلب الرهيب؛ لصرحت بملء فمي من منبر النصح والتذكير:

يا إخوة القرآن!

ألا هاكم النموذج الأمثل للمنهج الأمثل الإسلامي الأصيل فاتخذوه سبيلا خطوة خطوة، مرحلة مرحلة؛ تختصروا المسافات الطويلة، وتتفادوا الأزمات المعقدة، وتنجوا من المؤامرات المحبوكة حيكاً ماكرّاً غادراً.. ومن ثم تكونوا حقاً مرة أخرى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ بإذن الله؛ وذلك هو الطريق المستقيم وأمل النصر العظيم.

قال بانفعال واندهاش: بخ بخ القد أوجزت وأوفيت ولكني مازلت أطلع إلى مزيد فلکم شوقني إلى مباحج هذا العالم المجهول القريب التناوب والبعيد التناوش في وقت واحد.

قلت باعتزاز وحماس: نعم لي عنه شيء كثير ولكنني سأختم كلامي ها هنا معك بملحق صغير أراه لزاماً عليّ بيانه حتى تكتمل عندك الصورة الواضحة بإطارها الجميل.

قال متلهفاً: وما هو جزاك الله عني خيراً.

قلت: إن ما أريد أن أضيفه على ما سبق هو أن تلاميذ هذا الأستاذ الشهير، قد طوّروا روح رسائل النور ونزلوا بها إلى ساحات العمل والتطبيق والترجمة فأنشأوا مدارس ومؤسسات ومرافق حضارية عصرية جديدة بأن تسمّى بأدوات

التجديد الأصلية في هذا الزمان فكانت مدارس النور التي أسسها في عزّ حياته وعنفوان دعوته، رباطات وزوايا وتكايا ولكنها من نوع آخر؛ فهي تجمع بين أصالة القديم وحادثة المعاصرة: وهي من حيث القديم مساجد وحلقات ذكر وكُتاب تعليم وتربية. ومن حيث الجديد فهي مدارس وجامعات ومكتبات ومجاميع علمية وندوات أدبية نظيفة جداً، متواضعة جداً وجادة جداً. وهي للدخيلين فيها رياض الأرواح وبساتين القلوب، ومعامل الإبداعات ومصانع الرجال ورياض الأطفال وخنادق الأبطال ومرابط المجاهدين ومعاهد الفقهاء ودور الدعاة. وهي كذلك مطعم ومشرب وفندق ومنتدى ومعسكر قائم في أعماق المجتمع الحديث قريباً قريباً من وجدانات البشرية المعاصرة في يومياتها العتيقة.

وهي بعد ذلك كله مرافق حياة متطورة واجبة بأن تشاهد وأن تعاش ثم تكتب عنها ريبورتاجات موسعة واستطلاعات مخصصة وتستخرج منها أسرارها وأدوارها وتجاربها بل وضرورتها العصرية في قرننا هذا الذي يعتبر تجديداً في هذا الجانب كذلك دروساً بليغة مستقاة للمجتمع المسلم في كل مكان وأنموذجاً للحركات المجاهدة في حلبة هذا العالم المزدحم فهي كأنها زوايا متصوفة ومجمع علماء ومعسكر جند ومصنع رجال ومعاهد تربية ومؤسسات صحية ومدرسة إرشاد ومنطلق جهاد أكبر ونادي شباب أبرار وخلايا نحل بشرية ومملكة نمل إسلامية.. تتم بحيوية مبهجة وخطوات واثقة ثابتة وعمل صامت مخلص مثمر ومؤثر وملتقى أحباب ومنتدى أدباء وكهف مفكرين.

نعم يا محدثي الموقر في هذا الحوار الكريم لا تنس أن من أعظم آثار هذا الداعية المفكر البديع بعد مجلدات رسائل النور التي هي مفخرته الكبرى أبداً؛ هو طلبته الأوفياء الأصفياء الذين يواصلون مسيرته الإيمانية والعلمية والأخلاقية وسائر أجنحتها الحضارية المرموقة بهمة ورحمة وحكمة والذين هم اليوم يعتبرون طليعة قوافل فجر الأمل الأغر الأكيد في ليالي اليأس والضياع والباطل.

فقال معقّباً بلهجة قاطعة: وإلى هنا أشكرك جداً، أشكرك شكر من يعرف وزن كلامك وصدق طويتك ويعرف أيضاً مقاصد نيتك الصالحة ولذلك أرجو لك من سويداء قلبي كل سداد وتوفيق في هذا الدرب المنير.

قلت: وأنا أرجو لك كل ذلك كذلك.

الفصل الثالث

سنابل من نور

نعم أيها الأخ المؤمن الكريم!

اعلم إن رسائل النور كليات بديهيات، وحقائق يقينيات، وقواعد أصول، وسنن موازين بشكل مبسط واضح ومكثف بلا نظير، يفهمها اغلب الناس بل ويتذوقها فكأنها مرآة التنزيل وصدى صوت جبريل.

والآن -وقد حان الوقت حق حينه- أقدم لك استعراضاً عاماً مهيباً حبيباً لمئة كلمة من أساطيل رسائل النور لتكون شواهد صادقة ناطقة على كل ما صرحناه من أفكار وملاحظات ومذكرات ومشاعر يقينيات حول عبقرية الأستاذ وعبقرية رسائله وعبقرية جماعته من بعد إلى هذه اللحظة التي أحاور فيها مع صديق عزيز مثقف واع يتحرق ناراً ويتضوء نوراً لحاضر هذا الدين العظيم ومستقبله ولأجياله الفتية المؤمنة الباسلة المتحدية لمردة الحضارات المادية الملحدة وشياطينها الكفرة الفجرة ببطولة الذات الإسلامية الأصلية التي أخرجتها وأبدعتها معجزة العلم والإيمان: جناحي براق العبودية الحقة، لتتحرر من ظلمات الوثنية الجديدة أولاً ثم لتحقيق شخصيتها الواقعية المثالية في ارض الابتلاء ثانياً؛ مسجلة أروع الانتصارات الخالدة على مشاهد الكون ثم لترتقي ثالثاً قمم معارج الحب والنور والرضوان في ملكوت السماوات العلاء.. قريباً قريباً من ظلال مقعد صدق عند مليك مقتدر، في فردوس قربه الأعلى بفضلته ورحمته.

واليك إذن سنابل من نورها ولآلئ من كنوزها وشواهد من سطورها ثم احكم أنت بنفسك؛ فأنت -كما أرى- أهل لذلك إن شاء الله:

* إن الاقتصاد كما هو شكر معنوي، فهو توقير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان.. وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار.. وهو مدار صحة الجسد كالحمية.. وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذل الاستجداء المعنوي وهو وسيلة

قوية لإحساس ما في النعم ولآلاء من لذة.. وهو سبب متين لتذوق اللذائذ المخبأة في ثنايا نعم تبدو غير لذيذة.. ولكون الإسراف يخالف الحكم المذكورة آنفاً باتت عواقبه وخيمة. (اللمعات، اللمعة ١٩)

* إن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: «إن مسلكي حق وهو أفضل واجمل» من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: «الحق هو مسلكي فحسب» أو «إن الحسن والجمال في مسلكي وحده» الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها. (اللمعات، اللمعة ٢٠)

* إن رضى الله لا ينال إلا بالإخلاص، فرضاه سبحانه ليس بكثرة التابعين ولا باطراد النجاح والتوفيق في الأعمال، ذلك لأن تكثير التابعين والتوفيق في الأعمال هو مما يتولاه الله سبحانه بفضلته وكرمه، فلا يُسأل ولا يطلب بل يؤتته الله سبحانه من يشاء. (اللمعات، اللمعة ٢٠)

* إن الإنسان لم يأت إلى هذه الدنيا لقضاء عيش ناعم جميل مغمور بنسمات الراحة والصفاء، بل جاء إلى هنا ليغنم سعادة حياة أبدية دائمة بما يُسر له من سبل التجارة برأس ماله العظيم الذي هو العمر. (اللمعات، اللمعة ٢٥).

* أن يفنى كل في الآخر، أي أن ينسى كل أخ حسياته النفسانية، ويعيش فكراً مع مزاياء إخوانه وفضائلهم. (اللمعات، اللمعة ٢١)

* لا تلقوا اللحم أمام الحصان ولا العشب أمام الأسد. (اللمعات، اللمعة ٢٦)

* من المعلوم أن حكم اثنين من أهل الاختصاص في علم أو صنعة يرجح على آلاف من غيرهم. (الكلمات، الكلمة ١٠)

* كما تبدل الملابس باختلاف المواسم، وتغيّر الأدوية حسب حاجة المرضى، كذلك تبدل الشرائع حسب العصور، وتدور الأحكام وفق استعدادات الأمم الفطرية،

لأن الأحكام الشرعية الفرعية تتبع الأحوال البشرية، وتأتي منسجمة معها وتصبح دواء لدائها. (الكلمات، الكلمة ٢٧)

* إن السياسة المعاصرة دخل فيها كثير من الكذب والحيلة والشيطنة فصارت في حكم وسوسة الشياطين. (المثنوي العربي النوري، حباب من عمان القرآن الكريم).

* إن عدالة القرآن تفق على باب العالم وتصيح في الربا: ممنوع، لا يحق لك الدخول!. (المكتوبات، نوى الحقائق)

* العاقل هو مَنْ يعمل على قاعدة: «خذ ما صفا.. دع ما كدر». (الكلمات، الكلمة ٨)

* إن الله واحد أحد، فلا تتعب نفسك - أيها الإنسان - بمراجعة الأغيار. ولا تتذلل لهم، فترزح تحت منتهم وأذاهم.. ولا تحني رأسك أمامهم وتملق لهم.. ولا ترهق نفسك فتلهث وراءهم.. ولا تخف منهم وترتعد إزاءهم.. لأن سلطان الكون واحد، وعنده مفاتيح كل شيء، بيده مقود كل شيء، تنحل عقد كل شيء بأمره، وتنفرج كل شدة بإذنه.. فان وجدته فقد ملكت كل شيء، وفزت بما تطلبه، ونجوت من أثقال المن والأذى ومن أسر الخوف والوهم. (المكتوبات، المكتوب ٢٠)

* لا يجوز بحث المسائل الإيمانية الدقيقة - كالمذكورة - بشكل مناقشات جدلية من دون ميزان، ولا أمام جماعة من الناس، إذ تتحول الأدوية عندئذ إلى سموم، لأنها دون ميزان، فتضر المتكلمين والمستمعين معاً. وإنما يجوز ذلك عند فراغ البال وسكون القلب وتوفر الإنصاف عند الباحثين، وتداولاً فكرياً ليس إلا. (المكتوبات، المكتوب ١٢).

* إن نفساً تصغي إلى الشيطان لا ترغب في أن تنظر إلى تقصيرها وعيوبها، حتى إذا رأتها فإنها تؤؤلها بتأويلات عديدة. فتنظر إلى ذاتها وأعمالها بعين الرضا، كما قال الشاعر: «وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلَةٌ...» (اللمعات، اللمعة ١٣)

* أيها المساكين! لا تقولوا عندما تغادرون الدنيا إلى المقبرة: أواه.. وأسفاه.. واحسرتاه، لقد ذهبت أموالنا هباءً، وضاع سعينا هدرًا، فدخلنا ضيق القبر بعد فسحة الدنيا!..

لا.. لا تصرخوا يائسين، لأن كل ما لديكم محفوظ عنده سبحانه، وكل ما قدمتموه من عمل وجهد قد سجل ودوّن عنده، فلا شئ يضيع ولا جهد ينسى، لأن ذا الجلال الذي بيده الخير كله سيثيبكم على أعمالكم، وسيدعوكم للمثول أمامه بعد أن يضعكم في التراب.. مثواكم الموقت. (المكتوبات، المكتوب ٢٠)

* إن ارتكاب السيئات والآثام سهل ويسير ووسائلها كثيرة.. فينبغي إذن التعامل في هذه الدنيا والقياس بمثل ميزان العدل الإلهي، فإن كانت حسنات شخص أكثر من سيئاته كميةً أو نوعيةً فإنه يستحق المحبة والاحترام. وربما يُنظر إلى كثير من سيئاته بعين العفو والمغفرة والتجاوز لحسنة واحدة ذات نوعية خاصة. (اللمعات، اللمعة ١٣)

* يجب ألا يُنظر إلى الأستاذ أو المرشد على أنه المنع أو المصدر بل ينبغي اعتباره والنظر إليه على أنه معكس ومظهرٌ فحسب. كالمرأة التي تعكس إليك حرارة الشمس وضوءها، فمن البلاهة أن تتلقى المرأة كأنها مصدرٌ لهما فتنسى الشمس نفسها، ومن ثم تُولى اهتمامك ورضاك إلى المرأة بدلاً عن الشمس!.

نعم، انه لا بد من الحفاظ على المرأة لأنها مظهرٌ يظهر تلك الصفات. فروح المرشد وقلبه مرآة، تصبح معكسًا للفيوضات الربانية التي يفيضها الحق سبحانه عليها، فيصبح المرشد وسيلة لانعكاس تلك الفيوضات إلى مريده.. (اللمعات، اللمعة ١٧).

* لا يلزم أن تكون كل وسيلة من وسائل كل حق حقاً، كما لا يلزم أيضاً أن تكون كل وسيلة من وسائل كل باطل باطلاً.

فالتيجة إذن: أن وسيلة حقّة (ولو كانت في باطل) غالبية على وسيلة باطلة (ولو كانت في الحق).

وعليه يكون: حقّ مغلوب لباطل، مغلوبٌ بوسيلته الباطلة، أي مغلوبٌ مؤقتاً، وإلّا فليس مغلوباً بذاته، وليس دائماً، لأن عاقبة الأمور تصير للحق دوماً.

* بينما يجب أن تكون كلُّ صفةٍ من صفات المسلم مسلمةً مثله، إلا أن هذا ليس أمراً واقعاً، ولا دائماً!

ومثله، لا يلزم أيضاً أن تكون صفات الكافر جميعها كافرةً ولا نابعةً من كفره. وكذا الأمر في صفات الفاسق، لا يشترط أن تكون جميعها فاسقة، ولا ناشئة من فسقه.

إذن، صفةٌ مسلمةٌ يتصف بها كافرٌ تتغلب على صفةٍ غير مشروعة لدى المسلم. وبهذه الوساطة (والوسيلة الحقّة) يكون ذلك الكافر غالباً على ذلك المسلم (الذي يحمل صفة غير مشروعة). (الكلمات، لمعات).

* إن الغيبة سلاح دنيء يستعمله المتخاصمون والحساد والمعاندون؛ لأن صاحب النفس العزيزة تأبى عليه نفسه أن يستعمل سلاحاً حقيراً كهذا. (المكتوبات، المكتوب ٢٢)

* أن كل من يجعل الحياة الفانية مبتغاه فسيكون في جهنم حقيقةً ومعنىً، حتى لو كان يتقلب ظاهراً في بحبوحة النعيم. وان كل من كان متوجهاً إلى الحياة الباقية ويسعى لها بجد وإخلاص فهو فائز بسعادة الدارين وأهل لهما معاً حتى لو كانت دنياه سيئة وضيقة، إلا أنه سيرها حلوة طيبة، وسيرها قاعة انتظار لجنّته، فيتحملها ويشكر ربه فيها وهو يخوض غمار الصبر. (الكلمات، الكلمة ٨)

* إن ذرة من عمل خالص أفضل عند الله من أطنانٍ من الأعمال المشوبة. (اللمعات، اللمعة ١٧).

* إن الاقتران شيءٌ والعلة شيءٌ آخر. فالنعمة التي تأتيك وقد اقترنت بنية إحسان من أحدهم إليك، علّتها الرحمة الإلهية. وليس لذاك الشخص إلا الاقتران دون العلة. (اللمعات، اللمعة ١٧)

* إن غاية امثال أمر الله ونيل رضاه، فالداعي إلى العبادة هو الأمر الإلهي، ونتيجتها نيل رضاه سبحانه. أما ثمرتها وفوائدها فأخروية. إلا أنه لا تنافي العبادة إذا مُنحت ثمراتٌ تعود فائدتها إلى الدنيا، بشرط ألا تكون علّتها الغائية، وألا يُقصد في طلبها. فالفوائد التي تعود إلى الدنيا والثمرات التي تترتب عليها من نفسها وتمنح من دون طلب لا تنافي العبادة، بل تكون بمثابة حث «وترجيح» للضعفاء. (اللمعات، اللمعة ١٧)

* إن القرآن لأنه كتابٌ ذكّر، وكتابٌ دعاء وكتابٌ دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم. إذ الذكر يُكرّر، والدعاء يُردّد، والدعوة تُؤكّد. (المثنوي العربي النوري، رشحات)

* إن أهم سبب لكسب الإخلاص وأعظم وسيلة مؤثرة للمحافظة عليه هو: «رابطة الموت». والسبب الثاني في إحراز الإخلاص هو التأمل الإيماني في المخلوقات. (اللمعات، اللمعة ٢١)

* عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تذيب كل الحقائق. وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق. (المكتوبات، المكتوب ٢٢)

* كمال النفس في معرفة عدم كمالها، وقدرتها في عجزها أمام الله، وغناها في فقرها إليه. (الكلمات، الكلمة ٢٦)

* ما دام العمل لوجه الله وفي سبيله فلا يُنظر إلى صغره وكبره ولا إلى سموه

وتفاهته، فالذرة في سبيل رضاه سبحانه مع الإخلاص تصبح نجمة متألثة.
(اللمعات، اللمعة ٢٠)

* العمل الايجابي البناء، وعو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون ان يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً. (اللمعات، اللمعة ٢٠)

* إن اللذات والأذواق التي يحصل عليها الإنسان عن طريق السعي الحلال ضمن الدائرة المشروعة كافية لسعادته وهنائه وراحته فلا يدع مجالاً للدخول في الحرام. (الكلمات، الكلمة ٢٣)

* ان رأس مال العمر قليل، ورحلة العمر هنا قصيرة، بينما الواجبات الضرورية والمهمات التي كُلفنا القيام بها كثيرة، وهذه الواجبات هي كالدوائر المتداخلة المتحدة المركز حول الإنسان:

فابتداء من دائرة القلب والمعدة والجسد والبيت والمحلة والمدينة والبلاد والكرة الأرضية والبشرية وانتهاء إلى دائرة الأحياء قاطبة والعالم اجمع كلها دوائر متداخلة بعضها في البعض الآخر، فكل إنسان له نوع من الوظيفة في كل دائرة من تلك الدوائر. ولكن اعظم الواجبات وأهمها، بل أدومها بالنسبة له هي في اصغر تلك الدوائر وأقربها إليه، بينما اصغر الواجبات وأقلها شأنًا ودواماً هي في اعظم تلك الدوائر وأبعدها عنه. فقياساً على هذا: يمكن أن تتناسب الوظائف والواجبات تناسباً عكسياً مع سعة الدائرة، اي كلما صغرت الدائرة -وقربت- عَظمت الوظيفة، وكلما كبرت الدائرة - وبعُدت - قلت أهمية الوظيفة.. ولكن لما كانت الدائرة العظمى فاتنة جذابة، فهي تشغل الإنسان بأمر غير ضرورية له، وتصرف فكره إلى أعمال لا تعنيه بشيء، حتى تجعله يهمل واجباته الضرورية في الدائرة الصغيرة القريبة منه، فيهدر - عندئذ - راس مال عمره، ويضيع حياته سدى. (الشعاعات، الشعاع ١١)

* إن كل شيء في الكون ينطوي على خير، وفيه جمالٌ وحُسن، أما الشر والقبح فهما جزئيان جداً، وهما بحُكم وحدتين قياسيتين، أي انهما وُجدا لإظهار ما في الخير وما في الجمال من مراتب كثيرة وحقائق عديدة؛ لذا يُعدُّ الشر خيراً والقبح حُسناً من هذه الزاوية. أي من زاوية كونهما وسائل لإبراز المراتب والحقائق. (اللمعات، اللمعة ٣٠)

* إن الذي زَيّن هذه الدنيا بأنواع ألطافه التي لاتحد وبأشكال آلائه التي لا تُعدُّ مظهرًا بها ربوبيته الكريمة الرؤوف، حفيظاً حتى على الأشياء الصغيرة الجزئية جداً - كالبذور مثلاً - ذلك الصانع الكريم الرحيم، لابد - بل بالبداهة - لا يُفني هذا الإنسان الذي هو أكمل مخلوقاته وأكرمها وأجمعها وأهمّها وأحبها إليه، ولا يمحوه بالفناء والإعدام النهائي، بلا رحمة وبلا عاقبة - كما يبدو ظاهراً - ولا يضيّعه أبداً.. بل يضع الخالق الرحيم ذلك المخلوق المحبوب تحت التراب الذي هو باب الرحمة موقتاً، كي يعطي ثماره في حياة أخرى، كما يبذر الفلاح البذور على الأرض. (اللمعات، اللمعة ٢٦)

* المصلحة المرجحة المحققة لا تضحّى لأجل مضرةٍ موهومة. (صيقل الإسلام، ص ٣٥٤)

* إن ازدياد قوة الإيمان ولو بمقدار ذرة هو أثنى من أطنان من كسب المعارف والكمالات، بل هو ألد وأطيب مائة مرة من حلاوة الأذواق والوجد. (الشعاعات، الشعاع ٧)

* إن في كل حادثة يد الإنسان ويد القدر معاً، ولكن الإنسان يظلم حيث ينظر إلى السبب الظاهري، بينما القدر يعدل لأنه يرى السبب الخفي لتلك المصيبة. (الملاحق، ملحق قسطنطيني)

* إن الإنسان تتحكم فيه النفس والهوى والوهم والشيطان وتستغل غفلته وتحتال عليه لتضييق الخناق على إيمانه، حتى تسد عليه منافذ النور الإيماني

بشر الشبهات والأوهام. فضلاً عن انه لا يخلو عالم الإنسان من كلمات وأعمال منافية لظاهر الشريعة، بل تعد لدى قسم من الأئمة في درجة الكفر. لذا فهناك حاجة إلى تجديد الإيمان في كل وقت، بل في كل ساعة، في كل يوم. (المكتوبات، المكتوب ٢٦)

* إن اتباع السنة النبوية المطهرة هو اجمل وأمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق، بل أقومها وأغناها. والاتباع يعني: تحري المسلم السنة السنينة وتقليدها في جميع تصرفاته وأعماله، والاستهداء بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله. فإن أعماله اليومية ومعاملاته العرفية وتصرفاته الفطرية الاعتيادية تأخذ بهذا الاتباع شكل العبادة. (المكتوبات، المكتوب ٢٩)

* إن البذرة والزهرة والثمرة.. أبداع معجزات القدرة الإلهية وأعجبها وأطفها، ولما عجز أهل الضلالة والطبيعة والفلسفة المادية من قراءة ما خطه قلم القدر والقدرة فيها من الكتابة الدقيقة، تاهوا وغرقوا فيها، وسقطوا في مستنقع الطبيعة الآسن. (الكلمات، الكلمة ١٠)

* هذه اللقاءات المدرة بالزوال غير جديرة باللهفة بل لا يستحق شوقاً؛ وصال يعقبه الزوال مؤلم، هذه اللقاءات المكدرة بالزوال غير جديرة باللهفة، بل لا يستحق شوقاً وصال يعقبه فراق؛ لان زوال اللذة مثلما هو ألم فان تصور زوال اللذة كذلك ألم مثله، فدواوين جميع شعراء الغزل والنسيب - وهم عشاق مجازيون - وجميع قصائدهم إنما هي صراخات تنطلق من آلام تنجم من تصور الزوال هذا، حتى إذا ما استعصرت روح ديوان أي منهم فلا تراها إلا وتقطر صراخاً أليماً ناشئاً من تصور الزوال. (الكلمات، الكلمة ١٧)

* نعم، لما كانت الدنيا هي دار «الحكمة» والدار الآخرة هي دار «القدرة» فإن إيجاد الأشياء في الدنيا صار بشيء من التدريج ومع الزمن. بمقتضى الحكمة

الربانية وبموجب اغلب الأسماء الحسنى أمثال «الحكيم، المرتب، المدبر، المرابي». (الشعاعات، الشعاع ٢)

* كما ان صورة الحيّة في المرأة لا تلدغ، وانعكاس النار فيها لا يحرق، وظل النجس فيها لا ينجس، كذلك ما ينعكس على مرآة الخيال أو الفكر من صور الكفر والشرك، وظلال الضلالة، وخيالات الكلمات النابية والشتم، لا تفسد العقيدة واليقين ولا تغير الإيمان، ولا تثلم أدب التوقير والاحترام. ذلك لأنه من القواعد المقررة: «تخيل الشتم ليس شتماً، وتخيل الكفر ليس كفراً، وتصوّر الضلالة ليس ضلالةً». (اللمعات، اللمعة ١٣)

* أيها الإنسان! تأمل واعتبر واعلم انك إن لم تمت عاجلاً فلا مناص من أن تصير شيخاً عجوزاً فان لم تحترم والديك فسيأتي عليك يوم لا يورك أولادك ولن يحترموك وذلك بما أودع الله من سر في: «الجزء من جنس العمل» لذا إن كنت محبباً لآخرتك فدونك كنز عظيم ألا وهو: اخدمهما ونل رضاهما وإن كنت تحب الدنيا فارضهما كذلك واشكر لهما حتى تمضي حياتك براحة وحتى يأتي رزقك ببركة من ورائهم. وإلا فان استئقال هؤلاء وتمني موتهم وتجرّيح قلوبهم الرقيقة الحساسة يجعلك ممن تنطبق عليه حقيقة الآية الكريمة: «خسر الدنيا والآخرة». وإذا كنت تريد رحمة الرحمن الرحيم فارحمهما؛ فارحم ودائع ذلك الرحمن وما استودعك في بيتك من أمانات. (المكتوبات، المكتوب ٢١)

* إن من لا يقتصد مدعو للسقوط في مهاوي الذلة ومعرّض للانزلاق إلى الاستجداء والهوان معنيّ. (اللمعات، اللمعة ١٩)

* نحن مكلفون بحسن الظن. (السيرة الذاتية، اوراق من الذكريات)

* الزكاة باب عظيم تفيض منه البركة والغنى على كل فرد، وتدفع عنه البلايا والمصائب. فالذين لا يؤدون زكاة أموالهم لا محالة يفقدون أموالاً بقدرها

ويبدونها إما في أمور تافهة لا طائل وراءها، أو تلتمَّ بهم مصائب تنتزعها منهم انتزاعاً. (المكتوبات، المكتوب ٢٢)

* نعم! يا أخوتي كما أن ناراً صغيرة بل حقيرة -كعود الكبريت- تحرق غابة عظيمة كثيفة تدريجياً وتجعلها أثراً بعد عين، كذلك النظرة إلى النساء تحرق عمل المؤمن اليومي شيئاً فشيئاً.. وأخشى أن تكون عاقبته وخيمة. (السيرة الذاتية، أوراق من الذكريات).

* إخواني، إن وظيفتنا هي خدمة الإيمان والقرآن الكريم بإخلاص تام. أما توفيقنا ونجاحنا في العمل وإقبال الناس إلينا ودفع المعارضين عنا، فهو موكول إلى الله سبحانه، فنحن لا نتدخل في هذه الأمور. وحتى لو غلبنا فلا ينقصنا هذا شيئاً من قوتنا المعنوية ولا يقعدنا عن خدمتنا، فعلينا بالثقة والاطمئنان والقناعة انطلاقاً من هذه النقطة. (السيرة الذاتية، أوراق من الذكريات).

* إن مجابهة أعداء الإسلام والتصدي لهم أو حتى النقاش معهم لا يكون إلا بقراءة رسائل النور. فالرسالة الواحدة تقابل آلاف الخطط الخفية ضد الإسلام حيث إنها تخاطب جميع الطبقات ابتداءً من الأمي وانتهاءً إلى الفيلسوف.

فالحقائق التي فهمتموها من الأمثلة التي تسوقها رسائل النور تكفيكم كالذي يدخل بستاناً مزدهراً بالتفاح يكفيه ما تصل إليه يده. أما الذي لاتصل إليه يده فذلك حصة طويلي القامة فالذي لا يستوعب رسائل النور عليه ألا ييأس من عدم فهمها فإنني أيضاً محتاج إلى رسائل النور مثلكم فكلما أقرأها مرّة بعد مرة آخذ قسطاً من درسي وافهم أكثر. فان كنت أنت ممن تشم رائحتها فحسب يكفيك ذلك فاقنع بهذا واشكر عليه.. (السيرة الذاتية، أوراق من الذكريات)

* أخي ليس هناك إنسان لا يفتح الله قلبه للإسلام فعلى الذين يعملون في خدمة الإسلام أن يكونوا نابهين واعين. وان الإنسان يشبه قصرًا ذا مئة باب ولا بدّ ان هناك باباً يدخل منه إلى ذلك القصر ثم تفتح الأبواب كلها.

بيد أن منافقي آسيا وزنادقة أوروبا منذ ألف سنة يعملون بالمكر والدسائس حتى اعموا عيون أبناء هذا الوطن وحجروا على عقولهم فسدوا تسعا وتسعين باباً أمام الإسلام إلاّ باب الفطرة فهو مفتوح على مصراعيه دائماً. فالمؤمن بفراسته يمكنه أن يكشف الباب المفتوح، وعند الدخول من هذا الباب للإسلام سوف تفتح الأبواب المسدودة الأخرى لأجل الإسلام. فإذا ما غذي الإنسان بموازين رسائل النور الملائمة لفطرته ولم يستعجل الأمور واخذ بالإخلاص وتمسك به فسينشرح بإذن الله قلب الشخص المقابل للإسلام. أما إذا ما بنى الإنسان عمله على الاستعجال ومناقشة الأمور الجانبية واتهام الشخص المقابل؛ فهذا يعني انه يتوجه إلى الأبواب المسدودة فيتسبب في غلق الباب المفتوح كذلك. إن رسائل النور تهتم بالمحاكمات العقلية واخذ الأمور بالمسلمات المنطقية والفطرية ثم تأخذ بيد القارئ إلى دائرة الإسلام الفسيحة. (السيرة الذاتية، أوراق من الذكريات)

* أخي! إن الكمية دائماً تخدع الإنسان ولكن الأهم هو النوعية، فلئن أصبحت وسيلة لتعريف رسائل النور إلى شخصين اثنين يبحثان بفطرتهما عن رسائل النور وكنت أنت سبباً لإنقاذ إيمانهما؛ فقد أنجزت وظيفتك طوال حياتك الدراسية. فالإخلاص ليس في الكمية بل في النوعية وهذه هي الخدمة القرآنية.. (السيرة الذاتية، أوراق من الذكريات)

* اجعل حبك للعالم وما فيها من مخلوقات بالمعنى (الحرفي) وليس بالمعنى (الاسمي) اي لمعنى ما فيها وليس لذاتها. ولا تنقل لشيء: (ما اجمل هذا) بل قل: (ما أجمله خلقاً) أو (ما اجمل خلقه)! وإياك أن تترك ثغرة يدخل منها حبٌ لغير الله في باطن قلبك، فان باطنه مرآة الصمد، وخاص به سبحانه وتعالى. وقل: اللهم ارزقنا حبك وحب ما يقربنا إليك. (الكلمات، الكلمة ٣٢)

* نتصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من

الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جلييلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح. ولكن إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار، بل تتولد شرارة الفتن. (المكتوبات، المكتوب ٢٢)

* إن في سوء الظن وسوء التأويل جزءاً معجلاً في هذه الدنيا. حتى غدت «من دقّ دقّ» قاعدة مطردة. فالذي يسى الظن بالناس يتعرض حتماً لسوء ظنهم. والذي يؤول تصرفات إخوانه المؤمنين تأويلاً سيئاً، لا محالة سيتعرض للجزاء نفسه في وقت قريب. (اللمعات، اللمعة ٢٢)

* إن سعيداً لم يتراجع قط عن التضحية برأسه في سبيل دعوة الحق بل ضحى بكل ما لديه لرسائل النور. إن رسائل النور تريد طلاباً يفدون بكل شيء في سبيل إعلاء كلمة الله.. (السيرة الذاتية، أوراق من الذكريات)

* إن أسمى مقصد للإنسان وأعلاه هو أن يكون أهلاً لمحبة الله ! (اللمعات، اللمعة ١١)

* التلميذ المخلص للفلسفة «فرعون» ولكنه فرعون ذليل، إذ يعبد أخس شيء لأجل منفعته، ويتخذ كل ما ينفعه رباً له.. بينما تلميذ القرآن المخلص هو «عبد» ولكنه عبد عزيز لا يستذل لشيء حتى لأعظم مخلوق، ولا يرضى حتى بالجنة، تلك النعمة العظمى غاية لعبوديته لله. (الكلمات، الكلمة ١٢)

* السجن مدرسة يوسفية. (اللمعات، اللمعة ٢٦)

* إن دقيقة واحدة في الكفر الذي هو إنكار لألف اسم واسم من الأسماء الحسنى وتزييف لنقوشها البديعة.. واعتداء على حقوق الكائنات.. وإنكار لكمالاتها.. وتكذيب لدلائل الوحدانية التي لا يحدر ردّ لشهاداتها.. تلقي بالكافر

في اسفل سافلين لأكثر من ألف سنة، فتسجنه في قوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾
(الأحزاب:٦٥). (اللمعات، اللمعة ٢٨)

* تهافتُ البلايا وتسلطُ الشرور والأشياء المضرة هو وقتُ بعض الأدعية
الخاصة، حيث يدرك الإنسان حينئذٍ عجزه وفقره فيلوذ بالدعاء والتضرع إلى باب
القدير المطلق. (الكلمات، الكلمة ٢٣)

* العقل المبتلى بمظاهر الدنيا ولا يملك إلا معارف آفاقية خارجية، تجره سلسلة
أفكاره إلى حيث العدم والى غير شيء. فتراه يضطرب من حيرته ويرتعد من هول
الموقف فيصرخ يائساً جزعاً، باحثاً عن مخرج من هذا المأزق ليبلغه طريقاً سوياً
يوصله إلى الحقيقة. (الكلمات، الكلمة ١٧)

* إنه لا يقلقني سوى المخاطر المحدقة بالإسلام. إذ كانت المخاطر سابقا
تأتي من الخارج وكانت مقاومتها يسيرة. أما الآن فإنها تأتي من الداخل حيث دبت
الديدان في الجسد وانتشرت فيه فتعسرت المقاومة. إنني أخشى ما أخشاه ألا تتحمل
بنية المجتمع هذا الداء الوبيل، لأنه لا يشتهه بالعدو. إذ يظن من يقطع شريانه ويمص
دمه صديقاً. ومتى عميت بصيرة المجتمع إلى هذا الحد فقلعة الإيمان إذن في خطر
داهم. لذا لا قلق لي إلا هذا ولا اضطرب إلا من هذا. بل ليس عندي زمن أضيعه في
التفكير في التعب والمشاق التي أتعرض لها بنفسي. وليتني أتعرض لألف ضعف من
شقائي ويسلم مستقبل قلعة الإيمان. (السيرة الذاتية، ص ٥١٤)

* لقد تحملت آلامي الشخصية كلها، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني
اشعر بان الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي، إنها توجه إلى قلبي أولاً.
ولهذا تروني مسحوق الفؤاد. ولكنني أرى نوراً سينسينا هذه الآلام إن شاء الله.
(صيقل الإسلام، ص ٥١٤)

* إن الإيمان يقيم دائماً في القلب والعقل حارساً معنوياً أميناً، لذا كلما صدرت

ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع: محظور .. ممنوع .. فيطردها ويهزمها. (صيقل الإسلام، ص ٤٩١)

* هناك ستة أمراض، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب - وخاصة الأوربيين - نحو المستقبل. وتلك الأمراض هي :

١- حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه .

٢- موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

٣- حب العداوة.

٤- الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

٥- سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

٦- حصر الهمة في المنفعة الشخصية. (صيقل الإسلام، ص ٤٦٢)

* ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتترى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية. (صيقل الإسلام، ص ٤٠٢)

* إن مذهبي هو إبداء الحب للمحبة، وإظهار الخصام للعداء، أي أن احب شيء إليّ في الدنيا هي المحبة، وابغض شيء عندي هو الخصام والعداء.. (صيقل الإسلام، ص ٣٩٧)

* اروني مفسدا يقول: أنا مفسد، وما هو إلاّ مفسد إلا أنه يترأى في صورة الحق، أو يرى الباطل حقا، نعم ما من أحد يقول: مخيضي حامض .. فلا تأخذوا شيئا إلاّ بعد إمراره على المحك، لأن أقوالا مغشوشة مزيفة قد كثرت في تجارة الأفكار .. حتى كلامي أنا لا تأخذوه على علاّته - بحسن ظنكم - لأنه صادر عني فقد أكون مفسداً أو افسد من حيث لا اشعر، فعلى هذا تيقظوا! ولا تفتحوا الطريق

إلى القلب لكل طارق. فليظل ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضوه على المحك، فإن ظهر انه ذهب فأرسلوه إلى القلب، واحفظوه هناك، وان ظهر انه نحاس، فاحملوا على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيراً من الغيبة وشيعوه بسوء الدعاء علي وردوه خائباً إلي. (صيقل الإسلام، ص ٣٦٤)

* إن الذي يحجب ظهور الحقيقة: الرغبة في المعارضة .. والتزام جانب المعارض .. وإعذار المرء نفسه - بالتزامه لها- وإرجاع أوهامه إلى اصل موثوق .. وتتبع الهفوات والعيوب .. والتحجج بحجج واهية صيبانية .. وأمثالها من الأمور. (صيقل الإسلام، ص ١١٠)

* إن الحق سينمو، نمو البذرة النابتة، وان تسترت تحت التراب. وان أهله سيتصرون وإن كانوا قلة وضعفاء بظلم الأحوال. (صيقل الإسلام، ص ٢٠)

* إن المسلم يختلف عن أفراد الأمم الأخرى، إذ لو تخلى عن دينه فلا يكون إلا إرهابياً فوضوياً لا يقيده شيء أيا كان، بل لا يمكن إدارته بأي من وسائل التربية والإدارة إلا بالاستبداد المطلق والرشوة العامة. (الملاحق، ص ٢٩٠)

* إن هناك تيارات قوية تجعل أهل الإيمان في حيرة من أمرهم حيث تبدل الشعائر الإسلامية، ويشن هجوم عنيف على القرآن والإيمان، لذا لا ينبغي فتح باب المناقشة في الأمور الفرعية الجزئية التي تسبب الاختلاف إزاء هذا العدو اللدود. (الملاحق، ص ٢٨٠)

* إن حقيقة خالدة دائمة لا تبنى على أشخاص فانيين زائلين. ولو بنيت عليهم لنجم ظلم وإجحاف شديداً إذ المهمة التي لها الدوام والكمال من كل جانب لا تربط بأشخاص معرضين للفناء، ومبتلين بالإهانات. فان ربط الأمر بهم، تصاب المهمة نفسها بضرر بالغ. (الملاحق، ص ٢٤٩)

* إن الذين اتخذوا السياسة هدفاً لهم يأتي الدين لديهم في المرتبة الثانية ويكون

حكمه حكم التابع. أما المتدين حق التدين فيرى العبودية لله تعالى أعظم غايته في الكون، فلا ينظر إلى السياسة نظر العاشق الولهان، بل ينظر إليها - حسب مرحلتها- في المرتبة الثانية والثالثة ويستطيع أن يجعلها أداة طيعة للدين والحقيقة. إذ بخلافه يهون من قيمة الألباس الثمينة إلى قطع زجاجية تافهة. (الملاحق، ص ٢٤٤)

* فانتهم يا اخوتي محتاجون ومكلفون في هذه العواصف الهوج اكثر من أي وقت آخر بالحفاظ على ترابطكم واتحادكم وعض النظر عن تقصيرات إخوانكم وعدم نشر الانتقاد فيما بينكم. حذار حذار أن يمتعض أحدكم من الآخر .. فلا ينتقدن أحدكم الآخر .. وبخلاف ذلك فإن إظهاركم ولو قليلاً من ضعف يستغله أهل النفاق فيلحقون بكم أضراراً بليغة. (الملاحق، ص ١٩٥)

* في مثل هذه الأوقات العصبية، وأمام هذه الأحداث الجسام فان اعظم قوة لدينا -بعد قوة الإخلاص- هي قوة «الاشترك في الأعمال الأخروية» إذ يكتب كل منكم في دفتر أعمال اخوته حسنة كثيرة مثلما يرسل بلسانه الإمداد والعون إلى قلعة التقوى وخنادقها. (الملاحق، ص ١٦١)

* فيا اخوتي الأحبة ! الثبات الثبات ،الوفاء الوفاء .. إن طريقنا في السمو والرفقي هو الغلو في الارتباط والتساند فيما بيننا والسعي لنيل الإخلاص والاخوة الحققة، بدلاً من الغلو في حسن الظن والتطلع إلى مقامات أعلى من حدنا. (الملاحق، ص ١٢٨)

* إن خاصية هذا العصر العجبية هي غلو المسلمين في السذاجة وتسامحهم وتجاوزهم عن خطيئات جناة رهيبين، إذ لو رأى أحدهم حسنة واحدة من شخص ارتكب ألوف السيئات وتعدى على حقوق ألوف العباد، سواء على حقوقهم المعنوية أو المادية، ينحاز إلى ذلك الظالم لأجل تلك الحسنه الواحدة. وبهذه الصورة يشكل أهل الضلالة والطغيان الأكثرية العظمى من الناس رغم انهم قلة قليلة جداً، وذلك لموالاته أولئك السذج لهم. ولأجله ينزل القدر الإلهي

المصيبة العامة التي تترتب وتبني على خطأ الأثرية. بل إن عملهم هذا يعين على دوام المصيبة واستمرارها، بل على شدتها. حتى يقولوا هم بأنفسهم: نعم نحن نستحق هذه المصيبة. (الملاحق، ص ١١٠)

* إن مثلك وقد تصيب رأسك المصائب المرماة «بالقدر» كمثل أغنام مرسله في المرعى، يراها الراعي قد تجاوزت فيرمي الأحجار خلفها لترجع، فيقول المصاب رأسه بلسان الحال: نحن تحت أمر الراعي، وهو اعرف بنا منا فلنرجع. فيرجع. فيرجعون. (المثنوي العربي النوري، ص ٢٢٧)

* اعلم: إنني شاهدت في سيرتي في الظلمات، السنن السنينة نجوماً ومصايح، كل سنة وكل حد شرعي يتلمع بين ما لا يحصر من الطرق المظلمة المضلة وبالانحراف عن السنة يصير المرء لعبة الشياطين ومركب الأوهام ومعرض الأهوال ومطية الأثقال - أمثال الجبال - التي تحملها السنة عنه لو اتبعها. (المثنوي العربي النوري، ص ١٧٠)

* إن الحجر مع حجرته إذا خرج من يد المعقد الباني في السقف المحذب يميل ويخضع رأسه ليماس رأس أخيه ليماسكا عن السقوط. فالإنسان الذي لا يدرك سر التعاون لهو اجمد من الحجر، إذ من الحجر من يتقوس لمعاونة أخيه. (إشارات الإعجاز، ص ٤٧)

وهنا قال صاحبي وهو مبهور ومبهور، بعد ما سمع كل هذه القواعد العظيمة والأصول الحكيمة من الموازين والمعايير لفهم حقائق الدين العظيم بأركانه الحادي عشر للإيمان والإسلام وأردفه بالثاني عشر للإحسان:

حقاً إن هذا الرجل الصالح علامة كبير ومجاهد قدير وفقه جسور لا أظن أن مثله يظهر في سوح الحياة إلا مرة في كل ثلاثة أو أربعة قرون، يظهر للوجود في عالم المسلمين خاصة كأخلص وأنجب تلاميذ مدرسة القرآن الكريم ومدرسة السنة النبوية الشريفة!

قلت - وأنا أكاد أخفي إعجابي لما توصل إليه من نتيجة صحيحة باهرة - : لقد عرفت الآن فالزم، واتبع عملك بعلمك وتصديقك بتصورك وحالك بيقينك وعندها فقط أقول لك أنت الأفقه وإنك أنت الأعلى!

قال: والحق إنني بدأت منذ اللحظة أفكر بجد وعزم فلقد أثرت فيّ دوافع الوعي والشوق، ولا أكتمك سراً إذا قلت: سأبدأ من هذا اليوم بقراءة الرسائل هذه ودراستها دراسة وافية داعية لعلي ابلغ آفاق تلك المعاني والحقائق والأسرار والعجائب والتصورات والانطباعات والأذواق والمواجيد أو أكثر إن شاء الله. فلكم في هذا الأمر من متسع ومجال؟!

قلت: أحسنت. نعم إنشاء الله، وما تشاءون إلا أن يشاء الله. بارك الله فيك وأعانك على فهمها الصحيح والذوق السليم والعمل السديد وما ذلك على ربنا الرحمن بعزیز.

الكلمة الختامية الأخيرة

بطاقة دعوة لجماهير البشرية على هذا الكوكب العظيم، أبعثها خطاباً أخوياً مخلصاً من على منبر جامعة زهراء رسائل النور:

وفي ختام هذا الحوار الإعلامي البحت اهتمس في أذان القارئ والقارئات والسامعين والسامعات معاً من طلاب الحق وباحثيه وبكل رفق وجد عسى أن يقدروا ندائي المبرأ من أيما شائبة من شوائب الدنيا ومن أيما غرض من أغراض المصالح الشخصية إلا ابتغاء وجه ربي سبحانه وتعالى فأقول وكلي دعاء ورجاء أن يسمعونني ويصغوا إلي لحظة ثم ليقولوا ما شاءوا وليفعلوا ما شاءوا فلقد خلقهم ربهم مكرمين وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً:

نعم أيها الناس. يا عباد الله في كل مكان! يا أميون ويا أنصاف الأميين. يا أيها المتخرجون من مؤسسات علوم الحضارة الحديثة. يا طلاب، يا معلمون، يا أساتذة الجامعات، يا علماء المساجد والمعابد. بل يا كل إنسان عاقل حر يعشق الحق والخير والجمال في أرجاء هذه المعمورة! ألا تريدون أن ترتقوا أعلى سلالم العلم والإيمان في هذا العصر.

ألا تريدون أن تتزودوا بأصول علوم الدنيا والآخرة في آن واحد وفي عمر قصير يلائم وينسجم مع طابع العصر في طلب العلم؟ ألا تريدون أن تكونوا علماء عاملين في اقصر طريق واقل جهد؟

... فهاكم إذن «رسائل النور.. رسائل النور.. رسائل النور» أعجب أعاجيب المعجزة المعنوية للقرآن في عصرنا وأجمل الأصداء السماوية. وإن كنتم لا تصدقون أو لا تكادون تتصورون فأسالوا أهله ممن يواصلون السير في هذا الدرب

المنير أو جرّبوها بأنفسكم. وليس عندي من دونهما حجة أو برهان أتخذه في سبيل إقناعكم بهذه الحقيقة الناصعة وهي الخاصية الخاصة لخرائط بديع الزمان في رسائله الخالدة، وإنها لخاصية تستحق أن تكسب القلوب الجادة وحدها في حب العلم والعمل معاً وان تفوز بلقب أعجوبة الدهر لمسلمي آخر الزمان: عصر ظهور الدجال الأكبر داهية الدواهي على البشرية جمعاء قبيل قيام الساعة.

فاسمعوا وعوا إذن. إني لكم ناصح أمين، ولن تخسروا شيئاً أبداً إن لم تريحوا كل شيء.

واختم كلمتي لهذه البحث المتواضع القاصر. مردداً هذه المقولة العطائية الشهيرة، بالاستعارة: «ليت شعري! ماذا وجد من فقدوها وما الذي فقد من وجدها». وأخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم الذي جاء حقاً رحمة للعالمين.

فهرس الكتاب

فهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة	٧
الفصل الأول	
(بيانات حول رسائل النور):	١١
توطئة لا بد منها	١٢
المدخل	١٣
نظرات عبر مشاهدات	٢٦
مقارنات عابرة	٣٨
الفصل الثاني	
(حول الأستاذ النورسي نفسه):	٤١
من تعاريفي الخاصة عنه	٤٢
نماذج من صفاته	٤٥
لمحات من منجزاته	٥٠
الفصل الثالث	
(سنابل من نور):	٥٥
استعراض عام خاطف لمنتخبات من كلماته القِيمة	٥٦
الكلمة الختامية الأخيرة	٧٥
فهرس الكتاب	٧٧

قال: وماذا تميّزها عن غيرها من الأمور فيما
نعرف أو لا نعرف؟

قلت - وأنا أستعرض صفحات رسائل
النور كشریط سينمائي سريع كلمحات من
بصر-: إنها أيها الصديق العزيز تبدأ بك من
البداية الأولى وكأنك لم تسمع ولم تعرف شيئاً
عن الحقائق الإيمانية من قبل أو كنت تعرفها
ولكنك نسيتها أو ما هو في حكم النسيان
فعلاً؛ فهي هنا تعطيك أبجديات الإيمان
وبديهياته رويداً رويداً لتكون منها بعد ذلك
كلمات اللغة الجديدة لتقرأها على سبورات
الوجود ووجوه الخلائق المشهودة بأحرف من
نور أو أحرف من حياة، محدثاً في خلايا
دماغك بناءً جديداً لتبصر وتفقه من نوافذها
ومناظرها.. آيات الوحي من صفحات القرآن
المسطور وآفاق القرآن المصوّر.

المؤلف